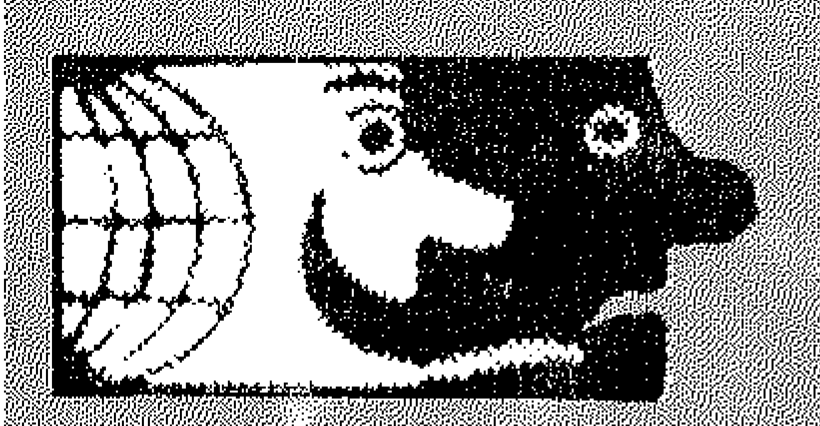




العدد
٣١٤

حياة إنسان

تأليف: ليونيد أندرييف
ترجمة وتقديم: يوسف حلاق
مراجعة: د. شريف شاكر

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . دولة الكويت

نوفمبر
١٩٩٨





العدد

٣١٤

حياة إنسان

تأليف : ليونيد أندرييف

ترجمة وتقديم: يوسف حلاق

مراجعة : د. شريف شاكر

سلسلة شهرية تصدر عن

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت

إبداعات عالمية

المراسلات :

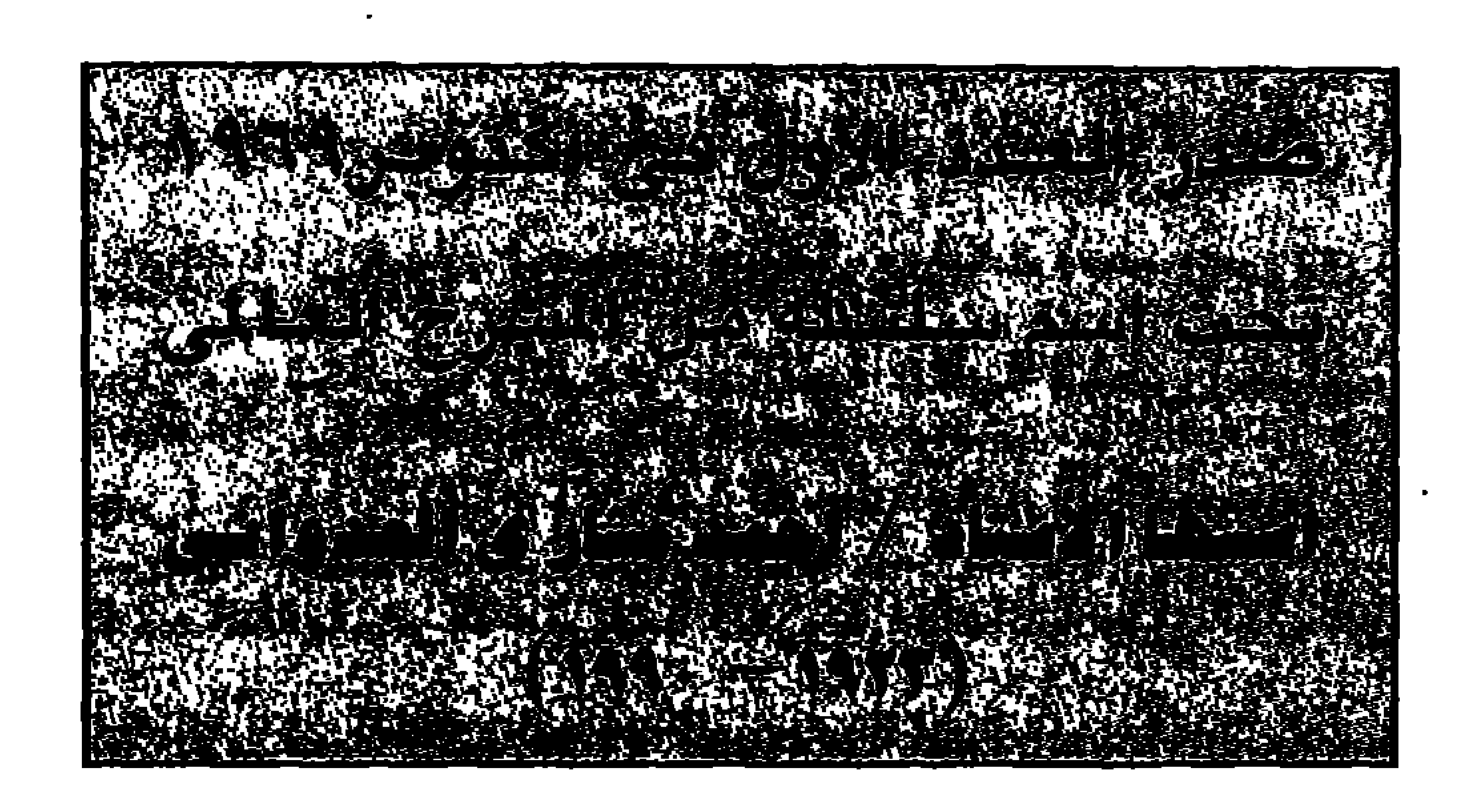
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة. الكويت 13100

تقديم

بين يديك عزيزي القارئ العدد الأول من سلسلة إبداعات عالمية، وهذه السلسلة امتداد لسلسلة المسرح العالمي، وإن منطق التنوع وعدم الانحباس في دائرة شكل واحد (رواية أو قصة أو مسرح) يفتح مجالا أوسع لأعمال شرط الامتياز وعدم تجاهل أعمال إبداعية مرموقة غاص مبدعوها فيما وراء الأشكال المحددة (مثل: حادث اختطاف لماركيز وباولا لإيزابيلا الليندي والمتحف الخيالي لأندريه مارلو)، كما أن هناك قصصا بثقل روايات (نصوص بورخيس ويوسنار وبوتزاني)، وأشعار حكائية عالية القص (خوان رامون خحينيس). وهذا الانفتاح المتجاوز للنمطية يفتح بابا لنصوص إبداعية ممتازة تجاهلتها حركة الترجمة العربية الإبداعية مثل: أدب الرحلات والسير الإبداعية (الحضارة المجروحة لبول نيبول، وأيام بورميه لجورج أورويل).

رئيس التحرير



صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها الأستاذ / أحمد مشاري العدواني

(١٩٢٣ – ١٩٩٠)

حياة إنسان

تأليف : ليونيد أندرييف
ترجمة وتقديم: يوسف حلاق
مراجعة : د. شريف شاكر

العنوان الأصلي للمسرحية

Леонид

АНДРЕЕВ

Пьесы

مقدمة

ليونيد أندرييف (١٨٧١-١٩١٩)

هو واحد من ألمع كتاب القصة والمسرح الروسي في الربع الأول من هذا القرن.

ولد ليونيد أندرييف عام (١٨٧١) في مدينة روسية صغيرة، في عائلة موظف صغير يعمل مساحا للأراضي، وسرعان ماتوفي والده. فعرف ليونيد - وهو مازال في المدرسة - الفقر والعوز. انتسب ليونيد، بعد أن أنهى المدرسة في مدينته «أوريول»، إلى كلية الحقوق في جامعة بطرسبرج، ثم انتقل إلى جامعة موسكو التي تخرج فيها عام (١٨٩٧).

وانخرط أندرييف في سلك المحاماة، لكنه لم يصب في عمله نجاحا، فتركه إلى العمل الصحفي (كاتب تحقيقات ومراسلا قضائيا). وفي هذه الأثناء بدأ ينشر قصصه القصيرة في المجلات والصحف. وقد أثارت هذه القصص («برغاموت وغارسكا» عام١٨٩٨، «الخوذة الكبيرة» عام١٨٩٩، «الغريب»، «الجدار»، «من حياة الكابتن كابلوكوف»، «الهاوية» وغيرها) اهتمام القراء واحتفى بها كبار كتاب ذلك العهد وناقديه أمثال : ليون تولستوي وتشيخوف وميخاييلوفسكي.

لكن أكثرهم احتفاء به كان مكسيم غوركي. فقد كانت لقصص اندرييف المفعمة بروح السخط على الشر الاجتماعي والعطف على «الإنسان

الصغير» (وهو أحد الموضوعات الأثيرة لدى الأدب الروسي عامة، وأدب القرن التاسع عشر خصوصا) قيمة بلغت انتباه غوركي واهتمامه وهو كاتب الحفاة والمشردين. وسرعان ماوجد اندرييف نفسه مشاركا في حلقات «الأربعاء»، التي كان ينتظم فيها اتحاد الكتاب الموسكوفيين الواقعيين، ومساهما نشطا في دار نشر «زنانيا» (المعرفة)، التي التف فيها حول غوركي كتاب ذلك العهد الواقعيون الموهوبون من أمثال : كوبرين وبونين وفيريسايف وسيرافيموتش وغيرهم، فصار واحدا من ألمع نجومها.

إلا أنه كان لأندرييف موقعه الخاص في حلقة غوركي. ذلك أنه كانت تتردد حتى في قصصه المبكرة نغمة تشاؤم رأى فيها الناقد ميخاييلوفسكي سحابة صغيرة قاتمة فوق مستقبل السيد اندرييف المشرق بوصفه فناناً، هذا بالإضافة إلى عدم وضوح فكره السياسي والاجتماعي فهو نفس موهوبة، قلقة، باحثة، حساسة، تتأرجح بين الحدود القصوى، لايرضيها واقعها كما لا ترضيها الحلول المطروحة. تندفع في طريق فتراه مسدودا فتعود تطرق غيره، إنه دائما الإنسان الباحث عن طريقه.

وجاء سحق ثورة عام (١٩٠٥) في روسيا، وكان أندرييف قد علق على هذه الثورة بعض الآمال، ليدفع به ذلك بعيدا عن غوركي والاتجاه الذي يمثله باتجاه الرمزية والفوضوية. وكان غوركي يرى بحزن شديد وأسى بالغ القطيعة بينه وبين اندرييف تزداد عمقا، فكتب إليه عدة رسائل محاولا استعادته إلى صفوف الحركة الواقعية مبينا له – من وجهة نظره – رسالة الكاتب الروسي في مجتمعه بوصفه رسولاً للحرية والديمقراطية ونصيرا

للمستضعفين. ومما جاء في إحدى هذه الرسائل: «الكاتب الروسي يجب أن يكون شخصية مقدسة، فعندنا في روسيا لاندهش لشيء، ولا ننحني لأحد إلا للكاتب، وعلى الكاتب الروسي، في كل مرة تريد أن تعانقه أيد مغرضة أو قذرة، أن يصرخ : إليكم عني، فأنا نفسي أعرف من أكون في أرضي!».

كما أوجز غوركي في مقالة طويلة له عن ذكرياته عن ادرييف الفرق – كما يراه – بين نظرته ونظرة أندرييف إلى الإنسان. وقد جاء فيها مايلي : «الإنسان بالنسبة إلي منتصر دائما حتى وهو مطعون طعنة قاتلة، حتى وهو يموت... أما الإنسان بالنسبة إلى أندرييف فيتمثل له إنسانا بائسا من الناحية الروحية. نسيجا من تناقضات لا تقبل التوفيق بين الفكر والغريزة، إنه محروم إلى الأبد من إمكانية الوصول إلى أي نوع من الانسجام الداخلي».

وأيا كان مدى صواب رأي غوركي في أندرييف – وغوركي، بالمناسبة، كان مؤرقا بالبعد الاجتماعي للأدب، بينما كانت المسائل الإنسانية الأزلية الكبرى هاجس أندرييف – وأيا كانت الخلافات بين الرجلين – وهي في واقع الحال انعكاس للحركة والصراع الفكريين والاجتماعيين والأدبيين اللذين كانت تمور بهما حياة روسيا قبل ثورة أكتوبر عام١٩١٧، فكلاهما أعطى الأدب الروسي والعالمي – من موقعه – عطاء طيباً.

زار اندرييف في حياته كثيرا من البلدان الأوروبية كسويسرا وفنلندا وألمانيا وغيرها. ولما أدركته ثورة أكتوبر لم يقبلها، فهاجر وتوفي عام ١٩١٩ في فنلندا وهو في اضطراب نفسي كبير.

أندرييف كاتبا مسرحيا

بدأ تألق ليونيد أندرييف بوصفه كاتبا مسرحيا بعد عام١٩٠٥. فقد كتب بين عامي ١٩٠٥ و١٩١٩ إحدى وعشرين مسرحية منها : «إلى النجوم»، «حيان إنسان»، «أيام حياتنا»، «أناثيما»، «الذي تلقى الصفعة»، «ملك الجوع»«محبة القريب»، «التائب»، «كاثرينا ايفانوفنا»، «الأقنعة السود» وغيرها.

جاء أندرييف المسرح ووراءه تجربة قصصية غنية وناجحة. جاءه وفي نيته، كما قال في رسالة إلى الكاتب سيرافيموتش، «إصلاح الدراما». وكان يرى هذا الإصلاح باتجاه خلق «دراما واقعية جديدة»، تعطي الكاتب حرية استخدام الفنون التشكيلية، وفي طليعتها الرسم، وإنشاء النص المسرحي وإخراجه. والأهم من هذا كله أنه وضع موضع الشك أهمية الحركة الخارجية في العمل الدرامي. فقد تساءل عن حاجة المسرح إلى الفعل الخارجي (أي التصرفات والحركات على المسرح) وأجاب هو نفسه على تساؤله بالقول : «المسرح لا يحتاج إليه، لأن الحياة ذاتها، في أكثر نزاعاتها وصداماتها دراماتيكية ومأساوية، تبتعد أكثر فأكثر عن الفعل الخارجي، لتتوغل أكثر فأكثر في أعماق النفس، إلى هدوء المعاناة الفكرية بسكونها الخارجي».

كان أندرييف يعي إشكالية مسرحه وجدته، ولهذا حرص على إرسال نسخ من مسرحيته «حياة إنسان»، ويمكن اعتبارها باكورة اتجاهه الجديد إلى أصدقائه ومعارفه من مختلف الاتجاهات الأدبية يستطلع رأيهم فيها.

وفي هذا يقول : «فعلت ذلك لأني اتخذت للمسرحية شكلا جديدا كل الجدة، لا هو بالواقعي ولا الرمزي ولا الرومنطيقي، شكلا لا أعرف ما هو، وبودي سماع رأي العارفين فيه».

هذا الشكل الجديد أثار الكثير من ردود الفعل المتناقضة والتقويمات المتباينة إبان حياة صاحبه وبعد مماته، وقيل فيه الكثير ومن مواقع مختلفة. فرأى فيه البعض خروجا على ما ألفه من المسرح أو على مايريده منه. وقيل إن الكاتب تأثر بنيتشه وشوبنهور ودوستويفسكي، وحذا فيه إلى حد كبير حذو ميترلنك، وقيل فيه إنه مسرح أفكار مجردة جسدت في شخوص، وأن الكاتب يطعم أفكاره أحيانا بشيء من الواقعية. وقد يكون هذا كله أو بعضه صحيحاً، لكن أندرييف صهر هذه العناصر كلها في بوتقة واحدة هي بوتقته، فكان منها مسرح متفرد ومتميز.. يثيرنا، يشحننا بالحماسة، يشجينا، يمتعنا، ويطرح علينا من الأسئلة - والأسئلة الوجودية الكبرى - أكثر مما يجيب عليها، فلا عجب ان أصاب مسرحه شهرة كبيرة في روسيا وخارجها.

المسرحية

يعترف أندرييف أن فكرة كتابة مسرحية عن حياة إنسان راودته أول مرة أمام إحدى لوحات الرسام الألماني البرشت دورير (١٤٧١-١٥٢٨) في أحد متاحف برلين. واللوحة تمثل مراحل حياة الإنسان. إلا أن كل مرحلة مفصولة عن المرحلة التالية بإطار، ومن هنا جاءت مسرحية «حياة إنسان» على شكل لوحات وليست على شكل فصول ومشاهد كما هو المألوف. كما لم ينف تأثره بالرسام الإسباني (غويه) وخصوصا في لوحة (حفلة راقصة عند «الإنسان»). وقد انكب على كتابة المسرحية وهو في برلين، وكانت آخر عمل له تساعده فيه زوجته برأيها وملاحظاتها كما يتبين من الإهداء ومن مذكراته حتى إنه أعاد كتابة لوحة (حفل راقص عند «الإنسان») عدة مرات بإلحاح منها.

فرغ أندرييف من كتابة مسرحيته عام (١٩٠٦). وفي شباط (فبراير) عام (١٩٠٧) كانت المسرحية بإخراج المخرج الروسي المعروف (مير خولد) تعرض على مسرح «كوميسارا جيفسكايا» في بطرسبرج. لكن اندرييف على الرغم من ثنائه على محاولات (مير خولد) الإخراجية الجديدة لم يكن راضيا عن فهم المخرج لروح المسرحية. فقد كان (مير خولد) يرى أن كل شيء في المسرحية «يجري كما في منام» بينما كان أندرييف يراها أكثر الدرامات واقعية، لكنها واقعية مؤسلبة، كما نعى عليه تركيزه على

«الشخص بالزي الرمادي» بينما كان يجب التركيز على صراع «الإنسان» وإشعار المتفرج بأن «الإنسان» كبير، قوي لا يستسلم للقدر.

وما جاء الشهر الأخير من العام نفسه (عام١٩٠٧)، حتى كان «المسرح الفني» في موسكو يعرضها على خشبته، وقد قام بإخراجها المخرج الشهير (ستانيسلافسكي) وزميله (سولير جتسكي). «كان النجاح هائلا. يقول ستانيسلافسكي متذكراً : استدعي المؤلف عدة مرات للظهور أمام الجمهور، لكني أنا شخصيا لم أكن راضياً عن العرض». وسر ذلك عدم الانسجام بين الديكور والجو الغريب للمسرحية، وبين طريقة الممثلين «الستانيسلافسكية» الواقعية في الإلقاء والتحرك على خشبة المسرح، على الرغم من أن المخرجين عملا برأي الكاتب في التركيز على «الإنسان» وصراعه مع قدره.

والجدير بالذكر هنا أن أندرييف جعل ملاحظاته الإخراجية حول الديكور وتحرك شخوص المسرحية ومظهرهم الخارجي والمؤثرات الضوئية والصوتية جزءا لا يتجزأ من النص المسرحي، وكان حريصا في حياته على أن يراعيها المخرجون.

ولقد مثلت المسرحية على مسارح روسيا،وترجمت إلى اللغات الأجنبية ومثلت في بلدان كثيرة. وأثارت – ومازالت تثير – كأي عمل كبير آخر، الكثير من الاهتمام والاختلاف في الآراء.

لكنها ستظل بعد هذا كله وفوق هذا كله نشيداً رائعا يغني الإنسان في بؤسه ومجده، في ضعفه وعظمته، في صراعه من أجل الأجمل والأبقى، وفي خلوده، رغم موته الجسدي، بالعمل الذي خلفه لبني الإنسان.

مشهد تمهيدي

شخص في زي رمادي يدعى «هو»(*) يتحدث عن حياة «إنسان»(**). المكان يشبه غرفة مربعة كبيرة خالية تماما، ولا باب لها ولا نوافذ، كل شيء فيها رمادي، دخاني أحادي اللون : جدران رمادية وسقف رمادي وأرض رمادية. من منبع غير مرئي يسقط ضوء ضعيف متساو، رمادي هو الآخر ورتيب، لا يلقي ظلالا ولا يشكل بقعا منيرة. يبتعد الشخص بالزي الرمادي عن الجدار الذي كان يلتصق به بهدوء. عليه رداء فضفاض طويل رمادي عديم الشكل يرسم بغموض خطوط جسمه الضخم، وعلى رأسه غطاء رمادي يغطي بظله الكثيف القسم الأعلى من وجهه. عيناه غير مرئيتين. أما ما يرى منه فعظام الوجنتين والأنف وذقن نافرة ضخمة وغليظة كأنها منحوتة من حجر رمادي. شفتاه مطبقتان بقوة. يرفع رأسه قليلا ويبدأ في الكلام بصوت صارم بارد، خال من أي تأثر أو انفعال، كأنه قارىء مأجور يقرأ بلا مبالاة قاسية كتاب المصائر.

هو : انظروا واسمعوا يا من أتيتم إلى هنا طلبا للتسلية والضحك. ستمر أمامكم حياة إنسان كاملة ببدايتها المظلمة ونهايتها المظلمة. هذا الذي لم يكن موجودا

---

* «هو» هنا ليس اسم علم، بل ضمير الغائب المفرد المذكر.

** كلمة إنسان مكتوبة بالحرف الكبير في النص الأصلي، ولذلك نضعها بين شولتين مزدوجتين.

بعد، هذا الدفين سراً في لا نهائية الزمن، هـذا الذي لا يمكن أن يدركه أحد، أو يشعر به أحد، أو يعرفه أحد. سيشف على نحو غامض حجب العدم، ويعلن بصراحة عن بدء حياته القصيرة. في ليل العدم تضيىء فجأة شمعة تشعلها يد غير مرئية. إنها حياة «إنسان» ..انظروا إلى لهبها. إنها حياة «إنسان»، بعد ولادته سيأخذ صورة الإنسان واسمه، وسيشبه غيره من بني الإنسان الذين يعيشون على هذه الأرض في كل شيء. مصيرهم المرير يصبح مصيره، ومصيره المرير يصبح مصير الناس كلهم.

سيمر حتما بكل مراحل الحياة الإنسانية من أسفلها إلى أعلاها، ومن أعلاها إلى أسفلها مجذوبا بالزمن على نحو لا يقاوم. لن يرى أبدا – وهـــو المحدود النظر – الدرجة التالية التي ترقى إليها مدته غير الثابتة. ولن يعرف أبداً – وهو المحدود المعرفة – مايحمله إليه المستقبل من يومه أو ساعته أو دقيقته. وفي جهله الأعمى هذا سيكمل خاضعا دائرة قدره الحديدية، تنهكه التوقعات وتثيره الآمال والمخاوف.

ها هو ذا فتى سعيد. انظروا إلى الشمعة كيف تتوهج! ريح المدى اللامتناهي الجليدية تدور وتنفخ عاجزة،

فالشمعة مازالت تسطع متوهجة. لكن الشمع الذي تأكله النار يتناقص، لكن الشمع يتناقص.

وها هو ذا زوج وأب سعيد. لكن انظروا إلى الشمعة كيف ترسل ضوءا خافتا وغريبا، كأنما اللهب المصفر يتغضن، كأنه يرتجف من البرد ويختبىء. فالشمع الذي تأكله النار يذوب، الشمع يذوب.

وها هو ذا شيخ مريض وضعيف. فلقد انتهت درجات الحياة وحلت محلها هوة سوداء. لكن القدم الراجفة مازالت تسعى إلى الأمام. اللهب المزرق ينبسط في وهن وهو ينحني نحو الأرض. إنه يختلج ويسقط، يختلج ويسقط، ثم ينطفىء بهدوء.

هكذا يموت الإنسان. هو الآتي من الليل يعود إلى الليل، ويتوارى دون أثر في لا نهائية الزمن، لا يمكن أن يدركه أحد، أو يشعر به أحد، أو يعرفه أحد. وأنا الذي يدعوه الجميع «هو» سأظل رفيق «الإنسان» الأمين في أيام حياته كلها وفي دروبها كلها. سأبقى، أنا الذي لايراني «الإنسان» ولا أقاربه، إلى جانبه دائما حين يصحو وحين ينام، حين يصلي وحين يصب لعناته.

سأكون معه في ساعات فرحه حين تحلق روحه الحرة والجريئة عاليا، وفي ساعات انقباضه وحزنه حين تظلم نفسه بكآبة قاتلة ويتجمد الدم في قلبه. سأكون معه في انتصاراته وهزائمه، وفي ساعات صراعه العظيم ضد القدر. سأكون معه، سأكون معه.

وأنتم يا من أتيتم إلى هنا طلبا للتسلية، أنتم أيها المحكوم عليكم بالموت، انظروا واسمعوا : ستمر أمامكم حياة «إنسان» القصيرة بكل أحزانها وأفراحها، وكأنها رجع صدى بعيد ووهمي.

(يصمت الشخص بالزيّ الرمادي. وفي الصمت ينطفىء الضوء وتلف الظلمة الشخص بالزّي الرمادي والغرفة الرمادية الخالية)

(يسدل الستار)

اللوحة الأولى

ولادة «إنسان» وآلام أم

ظلام عميق، يغرق فيه الجميع ساكنين ..، ترتسم بشكل غائم، مثل حفنة فئران مختبئة، أشباح عجائز تضع على نفسها أغطية غريبة. كما تبدو بشكل غائم أيضا ملامح غرفة كبيرة عالية. تتبادل العجائز الحديث بأصوات منخفضة وهن يتضاحكن.

حديث العجائز :

– بودي لو أعرف ما ستلده صديقتنا : صبيا أم بنتا؟

– أليس الأمر سواء بالنسبة إليك؟

– إني أحب الصبية.

– وأنا أحب البنات، إنهن يجلسن في البيت دائما وينتظرن أن تأتي أنت إليهن.

– ألا تودين زيارتها؟

(تضحك العجائز بصوت خافت)

– إنه يعرف.

- إنه يعرف.

(صمت)

- صديقتنا ترغب في أن ترزق ابنة، فهي تقول إن الصبية مشاغبون، طموحون، يبحثون عن المخاطر. في صغرهم يحبون تسلق الأشجار العالية والسباحة في المياه العميقة، وكثيراً مايسقطون وكثيرا مايغرقون. وعندما يصبحون رجالاً يشنون الحروب ويقتتلون.

- إنها تظن أن الفتيات لا يغرقن، أما أنا فشاهدت كثيراً من الفتيات الغارقات، وكن - ككل الغرقى - مبتلات وخضراوات.

- إنها تعتقد أن الحجارة لا تقتل الفتيات.

- يا للمسكينة، ما أصعب مخاضها! ها قد مرت ست عشرة ساعة ونحن نجلس هنا، وهي لا تكف عن الصراخ. في أول الأمر كانت تصرخ بصوت حاد يصم الآذان ثم خفت صراخها، والآن تنشج وتئن.

- يقول الطبيب إنها ستموت.

- لا، الطبيب يقول إن الولد سيولد ميتاً، أما هي فستبقى على قيد الحياة.

- لماذا يلدن؟ إنه أمر مؤلم جدا.

- لماذا يمتن؟ هذا أشد إيلاما.

(تضحك العجائز بصوت خافت)

- نعم. يلدن ويمتن.

- ثم يلدن من جديد.

(يتضاحكن. يسمع صراخ خافت صادر عن امرأة تتألم)

- ابتدأ المخاض مرة أخرى.

- عاد صوتها يسمع من جديد. وهذا أمرحسن!

- هذا أمر حسن!

- يا للزوج المسكين : ارتبك بصورة أخذ يبعث معها على الضحك. لقد سر بادىء الأمر بحمل زوجته، وكان يردد أنه يريد صبياً، يظن أن ابنه سيصبح وزيراً أو جنرالا، أما الآن فلا يريد شيئا، لا صبياً ولا بنتاً، بل يتردد في أنحاء الغرفة ويبكي.

- حين يعاودها المخاض تراه يجهد نفسه ويحمر وجهه.

- أرسلوه إلى الصيدلية ليجلب دواء، لكنه ظل يروح ويجيىء قرب الصيدلية ساعتين وهو لا يستطيع أن يتذكر ماجاء من أجله. وكما ذهب عاد.

(تتضاحك العجائز بصوت خافت. يعلو الصراخ أكثر ثم ينقطع. صمت)

- ماذا جرى لها ياترى؟ أتكون ماتت؟

- لا. وإلا سمعنا نحيبا، وهرع الطبيب إلينا وأخذ يتفوه بسخافات، ولأتوا بزوجها إلى هنا فاقد الوعي. ولاضطررنا عندئذ للعمل. لا إنها لم تمت.

- لماذا نجلس هنا إذن؟

- سلوه هو، أو نعرف نحن شيئا؟

- لن يقول شيئا.

- لن يقول شيئا. إنه لا يقول أي شيء.

- إنه يضطهدنا. ينهضنا من نومنا، ويجبرنا على السهر، ثم يتبين أن لا حاجة إلى مجيئنا أصلا.

- نحن أتينا من تلقاء أنفسنا. أليس صحيحا أننا أتينا من تلقاء أنفسنا؟ يجب أن نكون منصفات. هاهي ذي تصرخ من جديد. ألا يكفيكن هذا؟

- وهل أنت راضية؟

- إني صامتة. صامتة انتظر.

- يالك من امرأة طيبة!

(يضحكن. تتتابع الصرخات أعلى فأعلى)

- يا له من صراخ! لشد ما تتألم!

- ألا تعرفن هذا الألم؟ كأنما الأحشاء تتمزق.

- كلنا أنجبنا أطفالا.

- وكأنما ليست هي. لم أعد أتعرف على صوت صديقتنا. صوتها رقيق ووديع جداً.

- ولكن هذا أشبه بعواء وحشي. يشعر المرء بالليل في هذا الصراخ.

- يشعر بغابة مظلمة لا حدود لها، وباليأس وبالخوف.

- يشعر المرء فيه بالوحدة والكربة. ألا يوجد أحد إلى جانبها؟ لماذا لانسمع أصواتا إلا هذا العويل الوحشي؟

- إنهم يتحدثون، لكننا لا نسمعهم. هل لاحظتم كم هو وحيد أبدا صراخ الإنسان :

يتكلم الجميع ولايسمعهم أحد. وما أن يصرخ أحدهم حتى يبدو لك وكأن كل شيء حوله يصمت وينصت.

•

– سمعت مرة إنسانا يصرخ وقد سحقت عربة رجله. كان الشارع غاصا بالناس، لكن بدا أنه لا يوجد أحد سواه.

– لكن هذا الصوت أشد رعبا.

– بل قولي إنه صوت أعلى.

– بل الأدق أن نقول إنه أطول امتدادا.

– كلا، انه أشد رعبا. يشم المرء هنا رائحة الموت.

– وهناك كان المرء يشم رائحة الموت. وقد مات الرجل فعلا.

لا تجادلن. أليس الأمر سيان بالنسبة إليكن؟

(صمت. صرخة)

– ما أغرب صراخ الإنسان. عندما تشعرين بالألم وتصرخين لاتلاحظين كم هو غريب، كم هو غريب.

– لا استطيع تصور الفم الذي يطلق هذه الأصوات.

أيمكن أن يكون فم امرأة حقا؟ لا استطيع أن أتصور ذلك.

– ولكن يشعر المرء أن الفم قد اعوج.

– كأن هذا الصوت يولد في عمق ما. إنه الآن أشبه بصرخة غريق. انصتوا : إنها تشهق!

– شخص ما ثقيل جلس على صدرها!

– شخص ما يخنقها.

(تتلاشى الصرخات)

– صمتت أخيرا. إنه لأمر يبعث على الملل والضيق. الصراخ على قدر كبير من الرتابة والبشاعة.

– وأنت أيضا تنشدين الجمال.

(تضحك العجائز بصوت خافت)

– هدوء . أهو هنا؟

– لا أدري.

– يبدو أنه هنا .

– إنه لا يحب الضحك.

- يقال إنه هو نفسه يضحك.

- من رأى ذلك؟ ما تقولينه مجرد إشاعات : فما أكثر ماينشرون عنه من أكاذيب.

- إنه يسمعنا. فلنكن رصينات.

(يضحكن بصوت خافت)

- ومع هذا ما أشد رغبتي في أن أعرف ما إذا كان المولود سيأتي ذكرا أم أنثى.

- شيء ممتع حقا أن نعرف مع من سنتعامل.

- أود لو يموت قبل أن يولد.

- يا لك من امرأة طيبة!

- لست بأطيب منك.

- أما أنا فأود أن يصبح جنرالا.

(يضحكن)

- إنكن ميّالات إلى الضحك أكثر مما ينبغي. وهذا لا يعجبني.

- وأنا لا يعجبني أنك كئيبة إلى هذا الحد.

- لا تتجادلن! لا تتجادلن! نحن جميعا ضحوكات وكئيبات. ليكن كل منا كما يريد.

(صمت)

- عندما يولدون يكونون مضحكين جداً. أولاد مضحكون.

- ومغرورون.

- ومتطلبون جدا. أنا لا أحبهم. يبدؤون فورا بالصراخ وبالمطالبة، كأن كل شيء يجب أن يكون معدا لهم. وعند معرفتهم أن هناك ثديا وحليبا فيأخذون بالمطالبة بهما، ثم يطالبون بوضعهم للنوم، وبهدهدتهم والطبطبة على ظهرهم الأحمر برفق. أحبهم أكثر عندما يموتون، عندئذ يصبحون أقل تطلبا. إنه يتمدد بمفرده ولا يطلب من أحد أن يهدهده.

- لا، إنهم مضحكون جدا. أحب غسلهم عندما يولدون.

- وأنا أحب غسلهم بعد أن يموتوا.

- لا تتجادلن! لا تتجادلن! سيكون لكل منكن ماتريده! إحداكن تغسله عندما يولد، والأخرى تغسله عندما يموت.

– لكن لماذا يفكرون أن لهم الحق بالمطالبة فور ولادتهم؟ هذا لايعجبني.

– هم لا يفكرون، ولا يعتقدون شيئا. المعدة هي التي تطلب.

– إنهم دائما يطلبون.

– لكنهم لا يعطون شيئا أبداً.

(تضحك العجائز بصوت خافت. تتجدد الصرخات وراء الجدار)

– ها هي ذي تصرخ من جديد.

– الحيوانات تلد بسهولة أكبر.

– وبسهولة أكبر تموت. وبسهولة أكبر تعيش. عندي هرة، لو رأيتن ما أسمنها وأسعدها.

– وأنا عندي كلب. كل يوم أقول له : ستموت، فيكشر عن أنيابه ويبصبص سعيدا.

– طبعا لأنها حيوانات.

– وهؤلاء بشر.

(يضحكن)

– إما أن تموت أو تلد. يشعر المرء أنها تستنفذ آخر قواها في هذا الأنين.

– عينان محملقتان...

– عرق بارد على الجبين...

(ينصتن)

– ستلد!

–لا، انها تموت!

(تتوالى الصرخات متقطعة)

– قلت لكن...

الشخص بالزي الرمادي (يقول بصوت رنان آمر) :

– هدوء، ولد «إنسان».

(في الوقت نفسه تقريبا الذي يتلفظ فيه الشخص بالزي الرمادي بهذه الكلمات يسمع صراخ طفل وتتوهج الشمعة في يده. الشمعة الطويلة تشتعل اشتعالا ضعيفاً يائساً، لكن لهبها يشتد شيئا فشيئا.

الزاوية التي يقف فيها الشخص ذو الزي الرمادي تبقى دائما أعتم من الزوايا الأخرى، ولهب الشمعة الأصفر يضيىء ذقنه الحادة وشفتيه المزمومتين بقوة، وخديه الضخمين العريضين العظام، يخفي القسم العلوي من وجهه بغطاء. قامته أطول قليلا من قامة الإنسان العادي. الشمعة طويلة، غليظة، مثبتة في شمعدان قديم الصنع. يده الرمادية القوية ذات الأنامل الطويلة النحيلة تبرز فوق اخضرار البرونز.

ينتشر الضوء ببطء، ومن الظلمة تبرز قامات خمس عجائز محدودبات الظهر يضعن أغطية غريبة كما تظهر الغرفة. الغرفة عالية مربعة ذات جدران ملس بلون واحد. في المقدمة وإلى اليمين نافذتان عاليتان ذواتا ثمانية ألواح من الزجاج ليس عليها ستائر. يطل الليل من الزجاج. قرب الجدران تنتصب كراس ذات مساند عالية مستقيمة).

العجائز : (على عجل)

– أتسمعن كيف أخذوا يهرعون؟ إنهم قادمون إلى هنا.

– أضاء المكان تماما. لنخرج.

- انظرن، الشمعة عالية ومضيئة.

- لنخرج، لنخرج بسرعة.

- لكننا سنعود! لكننا سنعود!

(يضحكن ضحكات خافتة ويتسللن في شبه العتمة المخيمة في حركات متعرجة غريبة وهن يتضاحكن. مع خروجهن يشتد النور، لكنه يبقى بارداً باهتاً لا حياة فيه بوجه عام. الزاوية التي يقف فيها الشخص ذو الزي الرمادي حاملا الشمعة المشتعلة تبقى أشد عتمة من الزوايا الأخرى.

يدخل الطبيب الذي يرتدي رداء أبيض ووالد «الإنسان». وجه الأب يعبر عن الإرهاق الشديد والفرح. تحت عينيه دوائر رزق، خداه غائران وشعره أشعث ولباسه مهمل. هيئة الطبيب تدل على أنه عالم كبير)

الدكتور : حتى الدقيقة الأخيرة لم أكن أدري إن كانت زوجتك ستبقى على قيد الحياة أم لا. لقد استخدمت كل ما وصل إليه العلم من معرفة ومهارة، لكن عملنا يبقى دون أثر كبير إن لم تؤازره الطبيعة ذاتها. كنت في

غاية الاضطراب ومازال نبضي يدق بقوة حتى الآن. ما أكثر الأولاد الذين ساعدتهم على أن يروا النور، ومع هذا لا استطيع حتى الآن التخلص من شعور القلق والاضطراب. ولكنك لا تسمعني يا سيدي!

والد «الإنسان» : إني أصغي إليك، لكني لا أسمع شيئا. فمازال صراخها حتى الآن يدوي في أذني، ولهذا لا أفهم جيدا ما تقول. ياللمسكينة، كم تألمت! ما كان أشد رغبتي، أنا المجنون الغبي، في إنجاب الأطفال، والآن أعزف عن هذه الرغبة الآثمة.

الدكتور : ستدعونني أيضا حين ولادة طفلك المقبل.

الوالد : لا، أبدا. إني أخجل من القول بأنني أبغض الطفل الآن، هذا الطفل الذي عانت أمه كل هذه الآلام بسببه حتى اني لم أره. كيف شكله؟

الدكتور : صبي ممتلىء، قوي ويشبهك ان لم أكن مخطئا.

الوالد : يشبهني؟ ما أسعدني! الآن بدأت أحبه. كنت دائما أود أن يكون لي صبي وأن يشبهني. هل رأيته؟ أنفه كأنفي أليس كذلك؟

الدكتور : نعم، أنفه وعيناه.

الوالد : وعيناه أيضا؟ ما أروع هذا! سأدفع لك أكثر مما نويت في أول الأمر.

الدكتور : يجب أن تدفع لي دفعة خاصة عن الملاقط التي استخدمتها.

الوالد : (متوجها إلى الزاوية التي يقف فيها «هو» جامدا) يا إلهي!

أشكرك على أنك حققت رغبتي ووهبتني ولدا يشبهني. أشكرك على أن زوجتي لم تمت وعلى أن ابني حي. وأسألك أن تفعل كل ما يساعد على نموه بحيث يغدو ضخما ومعافى وقوياً، وأن يكون ذكيا وشريفا وألا يسيىء إلينا - أنا وأمه - أبدا. إذا فعلت ذلك سأظل أؤمن بك وأتردد على الكنيسة. أما إنني الآن أحب ابني حباً شديداً.

(يدخل الأقارب. إنهم ستة : امرأة متقدمة في السن بدينة إلى درجة غير عادية، ذات ذقن متهدلة وعينين صغيرتين متعجرفتين، يملؤها الزهو والكبر، وسيد مسن هو زوجها، شخص طويل القامة جدا ونحيل على نحو غير عادي، حيث يبدو ثوبه واسعا عليه. لحيته صغيرة حادة كلحية العنزة، وشعره طويل حتى

الكتفين، ناعم كأنه مبلل بالماء، ينظر حوله من وراء نظارته بذعر وبوقار مصطنع في آن واحد، يمسك بيده قبعة اسطوانية سوداء واطئة، وفتاة شابة، هي ابنتهما، ذات أنف صغير يشمخ على نحو ساذج، وعينين تطرفان باستمرار، وفم مفتوح. وامرأة نحيلة ذات مظهر يدل على الاضطهاد والبرم الشديدين، تمسك بيدها منديلا تمسح به فمها. وشابان مهيبان تماما : ياقات عالية بشكل غير عادي مشدودة إلى الرقبة وشعر مدهون. على وجههما امارات الارتباك والضياع.

الصفات المذكورة في كل من هؤلاء الأشخاص تبلغ مع تطور المشهد أقصى مداها)

السيدة المسنة : اسمح لي يا أخي العزيز أن أهنئك بولادة ابنك (تقبله).

السيد المسن : اسمح لي يا نسيبي العزيز أن أهنئك من القلب بولادة ابنك الذي طال انتظارنا له (يقبله).

الباقون : اسمح لنا يا قريبنا العزيز أن نهنئك بولادة ابنك (يقبلونه).

الوالد : (في غاية التأثر) أشكركم! أشكركم! انكم جميعا أناس طيبون ولطفاء جدا، وأنا أحبكم كثيرا. كنت فيما مضى أشك وأقول في نفسي إنك أنت يا أختي العزيزة مشغولة قليلا بنفسك ومحاسنك، وانك أنت يا صهري العزيز على قدر من التحذلق. أما الآخرون فكنت أظن أنهم باردون نحوي ولا يأتون إلي إلا لتناول الطعام على مائدتي. أما الآن فأرى أني كنت على خطأ. أنا سعيد جدا الآن : فقد ولد لي ابن يشبهني، بالإضافة إلى أني وجدت فجأة هذا القدر من الناس الطيبين حولي!

(يتعانقون)

الفتاة : بماذا ستسمي ابنك يا خالي العزيز؟ بودي لو يكون اسما جميلا، شاعريا، فالكثيرالكثير يتوقف على اسم الإنسان.

السيدة المسنة : بودي أن يكون اسماً بسيطاً ورصيناً، أصحاب الأسماء الجميلة يكونون دائما أناسا طائشين جدا، ونادرا ما ينجحون في حياتهم.

السيد المسن : يبدو لي – يا ابن العم العزيز – أنه ينبغي عليك أن تسمي ابنك باسم أحد الأقرباء القدامى، هذا يساعد

على استمرار العائلة وتوطيدها.

الوالد : نعم، لقد فكرت أنا وزوجتي في الأمر، لكننا لم نستطع الوصول إلى قرار، وعلى العموم مع مجيىء وليد جديد ما أكثر الأفكار والهموم الجديدة التي تجيىء معه!

السيدة المسنة : وهذا يملأ علينا حياتنا.

السيد المسن : هذا يجعل للحياة غاية رائعة. فنحن إذ نربي الطفل ونجنبه الأخطاء التي كنا نحن ضحيتها، وننمي عقله بتجربتنا الخاصة الغنية نخلق منه على هذه الصورة إنسانا أفضل، ونتحرك بذلك ببطء، ولكن بخطى واثقة إلى غاية الوجود النهائية وهي الكمال.

الوالد : إنك محق تماما يا صهري العزيز. في صغري كنت أحب كثيرا تعذيب الحيوانات فترعرعت فيَّ القسوة، أما ابني فلن أسمح له بتعذيب الحيوانات. وعندما كبرت، كثيرا ما أخطأت في صداقاتي، وفي حبي : اخترت أصدقاء غير لائقين ونساء غادرات. سأشرح لابني...

الدكتور : (يدخل ويقول بصوت عال). سيدي، زوجتك في حالة سيئة جدا، وتريد أن تراك.

الوالد : آه، يا إلهي! (يخرج مع الدكتور).

(يجلس الأقارب على شكل نصف دائرة. في صمت مهيب بعض الوقت. في الزاوية يقف الشخص ذو الزي الرمادي جامدا موجها إليهم وجهه الحجري)

حديث الأقارب :

– هل ترين، يا زوجتي العزيزة، أن قريبتنا قد تموت؟

– لا، لا أرى ذلك. إنها قليلة الصبر، وتغالي في توهم آلامها. كل النساء يلدن ولا يموت أحد، وأنا نفسي ولدت ست مرات.

– لكنها كانت تصرخ صراخا عاليا يا ماما!

– أجل، على وجهها ظهرت احتقانات من أثر الصراخ. لقد انتبهت إلى هذا!

– هذا ليس بسبب الصراخ. هذا لأنه يجب أن تجهد نفسها. إنك لاتفهمين هذا. أنا نفسي ظهرت على وجهي احتقانات، ومع هذا لم أكن أصرخ.

– إحدى معارفي، وهي زوجة مهندس، ولدت منذ فترة قريبة ولم تصرخ تقريبا.

– إني لا أعرف زوجة المهندس، لكن عبثا يقلق أخي، يجب أن يكون أقوى وينظر إلى الأمور بهدوء أكثر، ما أخشاه حقا هو أن يربي ابنه بكثير من الوهم والاستهتار.

– إنه شخص ضعيف الإرادة تماماً، هو نفسه لا يملك سوى القليل من المال، ومع هذا يقرض أناسا غير أهل بالثقة.

– وهل تعلمون كم كلفت بياضات الطفل؟

– ... إن خفة عقل أخينا تحز في نفسي كثيرا، وغالبا ما نجادله بهذا الشأن.

– ومع ذلك، يقال إن طائر اللقلق هو الذي يأتي بالطفل، فأي لقلق هذا؟

(الشاب والفتاة يصدران في آن واحد صوتا ممدودا من منخريهما)

– لا تتفوهي بحماقات. أمام عينيك أنجبت خمسة أطفال، وأنا – والحمد لله – لست لقلقا.

(الشابان يصدران صوتا ممدودا من منخريهما مرة أخرى، بينما السيدة المسنة ترشقهما بنظرة طويلة صارمة)

- يجب أن تلاحظي أن هذا اعتقاد خرافي. الأطفال يولدون بطريقة طبيعية تماما أثبتها العلم بدقة.

- لقد انتقلا إلى شقة جديدة الآن.

- من؟

- المهندس وزوجته. تبين أن الشقة القديمة رطبة وباردة جدا. فشكوا أمرها إلى صاحب البيت عدة مرات، لكنه لم يهتم بالأمر.

- في رأيي أن شقة صغيرة ودافئة أفضل من شقة كبيرة ورطبة. في الشقة الرطبة يمكن للمرء أن يموت من الرشح والروماتيزم.

- عند بعض معارفي شقة رطبة للغاية أيضا.

- وعند معارفي أيضا.. رطبة جدا!

- ما أكثر الشقق الرطبة الآن!

- قولي لي من فضلك : من فترة طويلة كان بودي أن أسألك : كيف تزال بقع الدهن عن الأقمشة الفاتحة؟

- الصوفية؟

- لا، الحريرية.

(يسمع صراخ الطفل وراء الجدران)

- خذي قطعة جليد صغيرة نظيفة ودلّكي جيدا مكان البقعة، وبعد دلكه جيدا خذي مكواة حامية واكويه.

- انظري ما أبسط الأمر! ولكني سمعت أن الأفضل دلكه بحامض البوريك.

- لا، حامض البوريك للأقمشة الغامقة، أما للفاتحة فأفضل شيء هو الجليد.

- قل لي من فضلك، أيمكنني أن أدخن هنا؟ لم أفكر أبدا من قبل إن كان بالإمكان التدخين حال ولادة طفل!

- وأنا أيضا لم أفكر في هذا أبدا، أمر غريب! في الجنائز من غير اللائق ان ندخن، هذا أمر أعرفه، أما هنا...

- ما هذه السخافات؟! ممكن بالطبع.

- لكن التدخين عادة سيئة جدا! أنت مازلت يافعا، وعليك أن تحافظ على صحتك. فما أكثر الحالات التي تكون فيها الصحة ضرورية في الحياة.

– لكن التبغ مثير ينعش.

– صدقني، انه إنعاش مرضي جدا. أنا في صغري، حين كنت طائشا، كنت أفرط في التدخين.

– ماما، ما أشد صراخه! ما أشد صراخه يا ماما! أتراه يريد حليبا؟

– الشابان يصدران صوتاً ممدوداً من منخريهما. ترمقهما السيدة المسنة بنظرة صارمة.

(يسدل الستار)

اللوحة الثانية

الحب والفقر

ضوء ساطع دافئ يغمر كل شيء. غرفة كبيرة عالية جدا وبائسة جدا. جدران ملس تماما ذات لون وردي فاتح، يظهر عليها في أماكن مختلفة أشكال خيالية جميلة من تداخل البقع الرطبة.

في الجدار الأيمن نافذتان عاليتان ذواتا ثمانية ألواح زجاجية بلاستائر، يطل منهما الليل. سريران بائسان وكرسيان وطاولة عارية عليها دورق ماء شبه محطم وباقة رائعة من أزهار الحقول.

في أشد أركان الغرفة ظلمة يقف الشخص المتسربل باللون الرمادي. الشمعة التي في يده نقصت بمقدار الثلث، لكن لهبها مازال ساطعا، عاليا وأبيض، يلقي بقعا ضوئية قوية على وجهه الحجري وذقنه. يدخل الجيران وهم يرتدون ألبسة زاهية وبهيجة. أيديهم مثقلة بالزهور والأعشاب وبأغصان خضر من أشجار البلوط والبتولا. يعدون متفرقين في الغرفة، ووجوههم بسيطة، مرحة، طيبة.

حديث الجيران :

– ما أشد فقرهما! انظروا، ليس عندهما كرسي واحد زائد فائض عن الحاجة..

– وليس على الجدران ستائر..

– ولا لوحات على الجدران..

– ما أفقرهما! انظروا، لا يأكلان إلا الخبز الأسود.

– ولا يشربان إلا الماء، الماء البارد من النبع البارد!

– حتى انه ليس عندهما ثياب تفيض عن الحاجة، هي دائما في فستانها الوردي العاري النحر، مما يجعلها تشبه فتاة صغيرة.

– وهو يلبس قميصا فضفاضا، ويضع ربطة عنق غريبة، مما يجعله يشبه فنانا، ويجعل كل الكلاب تنبح عليه في حنق.

– ويثير استياء كل الناس المحترمين!

– الكلاب تبغض الفقراء. رأيت البارحة ثلاثة كلاب تهاجمه، وهو ينهرهم بعصاه ويصرخ : «إياكم أن تقربوا بنطالي، إنه آخر بنطال عندي!» وكان يضحك والكلاب تهاجمه مكشرة عن أنيابها وتعوي من شدة الغيظ.

– وأنا رأيت اليوم كيف خاف منه شخصان محترمان، سيد وسيدة، وانتقلا إلى الناحية الأخرى. «الآن سيطلب نقودا».

– قال السيد : «بل سيقتلنا».

– صرخت السيدة وانتقلا إلى الناحية الأخرى، وهما يتلفتان ويضعان أيديهما على جيوبهما، أما هو فكان يهز رأسه ويضحك.

– يا له من إنسان مرح!

- إنهما يضحكان دائما!

– ويغنيان!

– لا، هو الذي يغني، وأما هي فترقص.

– في فستانها الوردي عارية النحر.

– ما أمتع النظر إليهما : يا لهما من شابين مجيدين!

– أما أنا فأشفق عليهما، فهما جائعان، أتفهمون، جائعان!

–نعم، هذا صحيح، كان عندهما الكثير من الملابس والأثاث، لكنهما باعا كل شيء، وليس عندهما الآن ما يمكن بيعه.

– أذكر، كان عندها قرط جميل جدا، وقد باعته لتشتري خبزاً.

- وكانت عنده سترة سوداء جميلة تلك التي ارتداها يوم زفافه، وقد باعها.

- لم يبق لهما إلا خاتما الخطوبة، ما أشد فقرهما!

- بسيطة، بسيطة، كنت شابا وأعرف هذا.

- ماذا تقول يا جد؟

- بسيطة، بسيطة.

- انظروا، لقد خطر ببال الجد أن يغني وهو يفكر بهما.

- وأن يرقص أيضا!

(يضحكون)

- انه طيب جدا، لقد صنع لطفلي قوسا وسهاما.

- وهي بكت معي حين مرضت ابنتي.

- وهو ساعدني في إصلاح سياجي المهدم، شاب قوي!

- ما ألطف أن يكون لنا مثل هذين الجارين! شبابهما يدفىء شيخوختنا الباردة، وخلو بالهما يبعد عنا همومنا.

- لكن غرفتهما أشبه بسجن، إنها خالية تماما.

- بل تشبه معبداً، كل شيء فيها مشرق!

- انظروا. على طاولتهما زهور، لقد جمعتها عندما كانت تتنزه في الحقول بفستانها الوردي المكشوف عند النحر، ها هي ذي زهور السوسن! لم يجف الندى عنها.

- وهذا زهر القرنفل الأحمر الحار!

- وهذا زهر البنفسج!

- وها هو ذا العشب الأخضر المألوف!

- لا تمسسن الزهور يا صبايا. لا تمسسنها، على هذه الزهور قبلاتها فلا ترمينها على الأرض، وعليها أنفاسها فلا تطردن أنفاسها بأنفاسكن، لا تمسسن هذه الزهور يا صبايا، لا تتحسسنها!

- سيأتي ويرى الزهور!

- ويأخذ قبلة.

- سيشرب أنفاسها.

- ما أفقرهما! ما أسعدهما!

– هيا بنا! هيا بنا نخرج من هنا!

– لم نجلب شيئا لجارينا العزيزين! إن هذا ليعد أمرا في غاية البشاعة.

– لقد أتيت لهما بزجاجة حليب وقطعة خبز أبيض شهي الرائحة. (تضعهما على النافذة)

– وأنا أتيت لهما بنبتات طرية وناعمة : حين تنثر على أرض الغرفة تصبح كما في مرج أخضر تفوح منها أنفاس الربيع .

ـ ونحن أتينا ببعض أغصان البتولا والبلوط المورقة، حين نزين بها الجدران تصبح الغرفة أشبه بغابة خضراء بهيجة!

(يرتبون الغرفة ويسترون النوافذ المظلمة، ويغطون عرى الجدران الوردي بالأوراق)

– وأنا جلبت لفافة تبغ جيدة، إنها زهيدة الثمن، لكنها قوية وزكية الرائحة، تجلب النوم الهادىء (يضعها على النافذة).

– وأنا جلبت شريطة وردية، إذا ربطت بها شعرها صارت جميلة جدا وأنيقة، محبوبي هو الذي أهداني

هذه الشريطة، وعندي كثير غيرها، أما هي فليس عندها واحدة (تضع الشريطة على النافذة).

– وأنت يا جد، ألم تجلب لهما شيئا؟

– لم أجلب شيئا، لم أجلب شيئا اللهم إلا سعالي. وهما لا يحتاجانه. صحيح ما أقول يا جار؟

– مثل عكازي.. من يحتاج إلى عكازي يا صبايا؟

– هل تذكر يا جار؟

– وانت يا جار هل تذكر؟

– هيا بنا ننام يا جار، تأخر بنا الوقت.

(يتنهدان ويخرجان أحدهما يسعل، والآخر يطقطق بعكازه)

– هيا بنا! هيا بنا!

– ليسعدهما الله. إنهما جاران طيبان!

– لندع الله أن يمنحهما الصحة والفرح والمحبة المتبادلة، وألا يختلفان أبدا! *

---

*الترجمة الحرفية : وألاّ تمر بينهما قطة سوداء كريهة !

– وأن يجد الفتى عملا، شيء سيىء ألا يكون للإنسان عمل!

يخرجون. وعلى الفور تدخل زوجة «الإنسان» امرأة جميلة جدا، رشيقة ورقيقة، تضع زهورا في شعرها الغزير شبه المسبل، مظهرها حزين جدا، تجلس على الكرسي وتضع يديها على ركبتيها، وتخاطب المشاهدين بصوت حزين.

زوجة «الإنسان» : كنت الآن في المدينة أبحث، ولا أدري عما كنت أبحث، إننا فقيران جدا، ليس عندنا شيء وحياتنا صعبة جدا. نحتاج إلى نقود، لكن لا أدري كيف يمكن الحصول عليها؟ إذا سألنا الناس لايعطوننا، وليس لدي القوة لانتزاعها منهم. كنت أبحث عن عمل، لكنهم لم يعطوني عملا، قالوا : الناس كثيرون والعمل قليل جدا. راقبت الطريق لعل حافظة نقود تقع من أحدهم، لكن إما أن حافظة النقود لم تقع أو أن أحدا أوفر حظا مني انتشلها. إني حزينة جدا، الآن يعود زوجي من بحثه هو الآخر عن عمل، يعود متعبا، جائعا، فما الذي استطيع أن أقدمه له سوى قبلاتي؟ لكن القبلات لاتشبع أحدا، لا تشبع. لقد بلغ بي الحزن حدا يجعلني أرغب في البقاء.

يمكنني أن أبقى فترة طويلة دون طعام، ولا يؤثر هذا في، أما هو فلايستطيع. جسمه كبير يتطلب غذاء، وحين يظل فترة طويلة دون طعام يصبح في حالة تدعو للرثاء، شاحبا، سقيما، متوتر الأعصاب. يكيل لي السباب، ثم يتوسل إلي ألا أغضب، ولكني لا أغضب منه أبدا فأنا أحبه كثيراً، أشعر بالحزن فقط.

زوجي مهندس معماري موهوب جدا، بل أظنه عبقريا. مات أبواه في وقت مبكر جداً، وظل يتيما. ساعده أقاربه فترة بعد موت والديه، لكنهم تخلوا عنه لأنه كان ذا شخصية مستقلة وطبع حاد، وكثيرا ماكان يتفوه بأشياء لا تبعث على السرور، ولا يبدي لهم امتنانه. لكنه تابع دراسته معتمدا على الدروس الخصوصية التي كان يعطيها، وكثيرا ما كان يجوع، وأنهى مع هذا دراسته العالية، نعم كثيرا ما كان زوجي المسكين يجوع!

والآن صار مهندساً معمارياً يرسم تصاميم رائعة. لكن لا أحد يأخذها، لا بل ان كثيراً من الناس الأغبياء يسخرون منه، فلكي يتقدم المرء بحاجة إلى أنصار أو حظ، أما هو فلا أنصار له ولا حظ، لذلك تراه يبحث عن فرصة، أي فرصة، أو لعله يبحث عن نقود في الطريق كما أفعل أنا. انه مازال فتياً وساذجاً.

طبعا، لابد أن يأتينا الحظ يوما ما، لكن متى؟ أما الآن فنعيش حياة صعبة جدا. حين عقدنا زواجنا كانت معنا بائنة صغيرة، لكننا سرعان ما استنفذناها، كنا نذهب إلى المسارح ونأكل السكاكر. إنه لايزال يأمل، أما أنا فأفقد أحيانا الأمل نهائيا، وأبكي بصوت خافت. ينقبض قلبي حين أفكر أنه سيأتي عما قريب ومرة أخرى ليس عندي ما أقدمه له سوى قبلاتي البائسة.

يا إلهي! كن له أبا رحيما وشفوقا! فلديك الكثير الكثير من كل شيء : الخبز والعمل والمال. أرضك غنية تنبت الثمار والسنابل في الحقول، وتغطي المروج بالزهور، ومن أعماقها المظلمة تخرج الذهب والأحجار الكريمة للناس. وفي شمسك الكثير الكثير من الدفء، وفي نجومك الحالمة الكثير من البهجة الهادئة. فأعطنا القليل من فيض خيرك، القليل جدا بقدر ما تعطي طيورك، القليل من الخبز كي لا يجوع زوجي الطيب الغالي، والقليل من الدفء كي لا يبرد، والقليل من العمل كي يرفع رأسه الجميل بكبرياء. وأرجوك لا تغضب من زوجي لأنه يطلق الشتائم ويضحك، بل يغني أيضا ويجبرني على الرقص : إنه شاب يتدفق بالحياة وغير رصين على الإطلاق.

والآن أشعر ببعض الراحة وقد صليت، وأرى الأمل يبعث في من جديد. حقا لماذا لا يستجيب الله حين نصلي بحرارة؟ سأذهب وأبحث فلعل حافظة نقود أو ماسة براقة سقطت من أحدهم (تخرج).

الشخص الرمادي : إنها لا تعرف أنه قد استجيب إلى دعائها. لا تعرف أنه اليوم صباحا انكب شخصان في أحد البيوت الغنية على التصميم الذي وضعه «الإنسان» وأخذا يتمعنان فيه ويبديان انبهارهما به.

وأنهما ظلا طوال يومهما يبحثان عنه دون طائل. كانت الثروة تبحث عنه كما كان هو يبحث عن الثروة. إنها لا تعرف أنه غدا في الصباح، حين يخرج الجيران إلى عملهم، ستقترب من بيتهما سيارة ويدخل الغرفة البائسة سيدان يحملان الثروة والشهرة لكنهما لايعرفان – لا هو ولا هي – بهذا الأمر. هكذا تجيء للإنسان السعادة وهكذا تذهب.

(يدخل «الإنسان» وزوجته، «الإنسان» ذو رأس جميل يشي بالكبرياء وعينين براقتين وجبين عال وحاجبين سوداوين يمتدان من قصبة أنفه كجناحين جريئين. شعره الأسود المتموج مرسل إلى الخلف بطلاقة، والياقة الواطئة البيضاء

الطرية تكشف عن رقبة ممشوقة وجزء من صدره. «الإنسان» خفيف وسريع في حركاته مثل حيوان فتي، ولكن جسمه يتخذ وضعيات لا يتميز بها إلا الإنسان : منطلقة نشيطة فيها انفة واعتزاز)

الإنسان : مرة أخرى لم أحصل على شيء، سأستلقي في سريري، وأظل متمددا فيه طوال يومي حتى يأتي من بحاجة إلي، فلن أذهب إلى أحد، وغدا سأستلقي أيضا.

الزوجة : هل أنت مجهد؟

الإنسان : نعم، مجهد وجوعان. بإمكاني أن آكل ثورا كاملا كبطل هوميروس، لكني مضطر للاكتفاء بقطعة خبز يابسة، هل تعرفين أن المرء لا يمكنه أن يكتفي دائما بأكل الخبز. بودي أن أقضم، أمزق، أعض!

الزوجة : إني أرثي لك يا عزيزي.

الإنسان : وأنا أيضا أرثي لحالي، لكن هذا لن يشبعني. اليوم وقفت ساعة كاملة أمام البقالة. وكما يتأمل الناس الأعمال الفنية، هكذا أنا وقفت أتأمل الدجاج السمين ومعجون اللحم والسجق. والإعلانات ! إنها تتقن جيدا رسم فخذ الخنزير المملح والمدخن بحيث يمكن أن يؤكل مع الحديد!

الزوجة : أنا أيضا أحب فخذ الخنزير.

الإنسان : ومن لا يحب فخذ الخنزير؟ وسرطان البحر ألا تحبينه؟

الزوجة : بلى أحبه.

الإنسان : يا لسرطان البحر الذي رأيت! كان مرسوما، لكنه أجمل من السرطان الحي. أحمر ككاردينال وجليل وصارم يستحق بالفعل أن يتبرك المرء به. أظن أن بوسعي أكل كاردينالين من هذا النوع، بالإضافة إلى البابا شبوط.

الزوجة : (بحزن) ألم تلاحظ زهوري؟

الإنسان : زهور؟! هل بالإمكان أكلها؟

الزوجة : أنت لا تحبني.

الإنسان : (يقبلها) اعذريني! لكن - حقا - أنا جائع جدا، انظري، يداي ترتعشان، حيث أجد نفسي عاجزا عن رمي كلب بحجر.

الزوجة : (تقبل يده). يا لحبيبي المسكين!

الإنسان : ومن أين هذه الأوراق على الأرض؟ ما أطيب رائحتها. وهذا أنت أيضا؟

الزوجة : لا، الجيران على ما يبدو.

الإنسان : أناس لطفاء جيراننا هؤلاء. أمر غريب : ما أكثر الطيبين على الأرض! ومع هذا يمكن أن يموت المرء من الجوع. فما السبب؟

الزوجة : صرت متجهما. أراك تعيش. أنت ترى شيئا ما.

الإنسان : نعم، مرت أمامي من خلال النكات التي كنت أطلقها صورة الفقر المريعة، وانتصبت هناك في الركن، هل ترينها؟ يدان ممتدتان بحزن، طفل مرمي في غابة، وصوت ضارع، وصمت الصحراء الإنسانية. «النجدة»! لا أحد يسمع. «النجدة»! إني أموت! لا أحد يسمع. انظري يازوجتي، انظري! أشباح سود غامضة تنطلق كسحابات دخان أسود من مدخنة طويلة مخيفة موصولة بجهنم، انظري فأنا بينها أيضا.

الزوجة : أخذت أشعر بالخوف فلم أعد استطيع النظر إلى تلك الزاوية المعتمة. هل رأيت هذا كله في الطريق؟

الإنسان : أجل، رأيت هذا كله في الطريق، وهذا ما سيحدث لنا قريبا.

الزوجة : لا، لن يسمح الله بهذا.

الإنسان : ولماذا يسمح أن يحدث لغيرنا مثل هذا؟

الزوجة : نحن أفضل من الآخرين، نحن أناس طيبون لم نغضبه في شيء.

الإنسان : أو تظنين؟ إني كثيرا ما أطلق الشتائم.

الزوجة : أنت لست شريراً.

الإنسان : بل شرير، شرير! عندما أسير في الطريق وأنظر إلى كل الأشياء التي ليست لنا تنمو لي أنياب كأنياب الخنزير البري، آه ما أكثر ما ينقصنا من النقود!

اسمعي يا زوجتي الصغيرة! اليوم كنت أتمشى في الحديقة مساء، في هذه الحديقة الرائعة حيث الطرقات مستقيمة كالأسهم وأشجار الزان الجميلة أشبه بملوك تعلو التيجان هاماتهم...

الزوجة : وأنا أيضا تمشيت في شوارع المدينة، وهي مكتظة بالمخازن.. مخازن جميلة جدا.

الإنسان : كان الناس يمرون بقربي وهم يحملون العصي الأنيقة ويرتدون الملابس الجميلة، وكنت أقول في نفسي : أما أنا فليس لدي شيء من هذا.

الزوجة : والنساء الأنيقات في أحذيتهن الأنيقة التي تجعل أقدامهن جميلة، وفي قبعاتهن الرائعة التي تلمع العيون

تحتها ببريق خفي، وفي فساتينهن الحريرية التي تصدر حفيفا غامضا، كن يمررن بقربي وكنت أقول في نفسي : ليس لدي قبعة جيدة ولا فستان من حرير!

الإنسان : أحد الوقحين دفعني بكتفه، كشرت له عن أنيابي فاختبأ خلف الآخرين بشكل شائن!

الزوجة : وأنا دفعتني سيدة أنيقة، لكني لم أجرؤ على رفع نظري إليها لشدة ما أصبت بالحرج!

الإنسان : وكان هناك فرسان ينطلقون على جياد جامحةكريمة، وليس عندي شيء من هذا!

الزوجة : كانت تضع في أذنيها أقراطاً من الماس حتى وددت لو قبلتها.

الإنسان : هناك كانت سيارات حمر وخضر تنزلق دون صوت كأشباح ذات أعين مشتعلة،وكان يجلس فيها أناس يضحكون ويتطلعون بكسل إلى ما حولهم، أما أنا فليس عندي شيء من هذا!

الزوجة : وأنا ليس عندي ماس ولا زمرد ولا لؤلؤة بيضاء حقيقية!

الإنسان : فوق البحيرة مطعم فخم يتلألأ بالأضواء كأنه مملكة سماوية. هناك كانوا يأكلون!

وزراء يرتدون الفراك، ملائكة ذوو أجنحة بيض كانوا يروحون ويجيئون حاملين الشطائر والجعة، هناك كانوا يأكلون! هناك كانوايشربون! أريد أن آكل! أريد أن آكل يا زوجتي الصغيرة!

الزوجة : أيها الغالي، أنت تركض ولهذا تشعر بمزيد من الجوع. الأفضل أن تجلس وأجلس أنا على ركبتيك وتبدأ في رسم بناية جميلة.

الإنسان : إلهامي جائع مثلي، ولا يرسم إلا مناظر يمكن أكلها! منذ فترة طويلة صارت القصور أشبه بكعكات غليظة محشوة بالدهن والدسم، والكنائس أشبه بسجق مع البازلاء، لكني أرى الدمع في عينيك : ما الذي دهاك يا زوجتي الصغيرة؟

الزوجة : أشعر بحزن عظيم لأني لا استطيع مساعدتك.

الإنسان : أخجلتني، أنا الرجل القوي، الذكي ، الموهوب، الموفور الصحة عاجز عن أن أفعل شيئا، وزوجتي الصغيرة، جنيتي الخرافية، تبكي لأنها لا تستطيع مساعدتي! حين تبكي امرأة فهذا عار على الرجل دائما، واني لخجل من نفسي!

الزوجة : ليس الذنب ذنبك إن كان الناس لا يقدرونك حق قدرك!

الإنسان : أشعر أن أذني تحمران كأن أحدهم فركهما لي كما في أيام طفولتي! فأنت أيضا جائعة، وأنا كأي أناني حقيقي لم انتبه إلى هذا. إنها السفالة بعينها!

الزوجة : إني لا أشعر بجوع أيها الغالي..

الإنسان : هذا عيب! هذه دناءة! ذلك الوقح الذي دفعني كان على حق : رأى أمامه خنزيرا سمينا، خنزيرا بأنياب حادة، ولكنه برأس أحمق!

الزوجة : اذا أخذت تعنف نفسك على هذا النحو، بكيت من جديد.

الإنسان : لا، لا داعي للدمع. يتملكني الخوف حين أرى الدموع في عينيك. أخاف من هذه القطرات البلورية المضيئة، كأنما شخص آخر، شخص مرعب يذرفها، لن أسمح لك أن تبكي. إننا لا نملك شيئا، اننا فقيران، لكني سأحدثك عما سيكون عندنا. سأسحرك بأسطورة مشرقة، وأطوقك بأطواق من الأحلام الزاهية كأطواق الورود يامليكتي!

الزوجة : لا داعي للخوف! أنت قوي، أنت عبقري، وقد انتصرت على الحياة. ستمر ساعة انقباض القلب هذه، ويعود الإلهام المقدس لينير جبينك الأبي!

الإنسان : **(يتخذ وضعة تحد متكبرة وجريئة، ويرمي الزاوية التي يقف منها «المجهول» بورقة بلوط)**

وهو يقول : هي، أنت. مهما كان اسمك هناك القدر أم الشيطان أم الحياة، إني أتحداك، أدعوك إلى النزال! صغار النفوس يطأطئون رؤوسهم أمام سلطانك الغامض، ووجهك الحجري يبعث فيهم الرعب، وفي صمتك يسمون ولادة المصائب ونزولها الرهيب، لكني أنا جرىء وقوي وأدعوك إلى النزال. فلتلمع سيوفنا ولترن، ولننزل على الرؤوس بضربات تهتز لها الأرض! هي، اخرج إلى النزال!

الزوجة : **(تقف خلفه وعلى مسافة قريبة منه تكاد تلتصق بكتفه الأيسر وتقول له بحماسة)** هيا، يا عزيزي، بمزيد من الجرأة!

الإنسان : سأواجه جمودك الشرير بقواي الحية الفاعلة، وتجهمك بضحكتي الواضحة الرنانة!

ايه، صد ضرباتي! لك جبين من حجر خال من العقل، وأنا ألقي فيه جذوات متوقدة من فكري اللامع، لك قلب قد من صخر خال من الشفقة، فحذار، سأصب فيه سما صارما من صرخات التمرد! بسحابة غضبك المسعور السوداء تخسف الشمس، لكننا بسيوفنا سنضيىء الظلام! هيا رد الضربات!

الزوجة : بمزيد من الجرأة! يقف وراءك حارسك المسلح، يا فارسي الأبي!

الإنسان : في انتصاري سأغني أغاني ترددها الأرض كلها! وإذا سقطت في صمت تحت ضربات، لن أفكر إلا في النهوض من جديد والانطلاق إلى النزال! في درعي مواطن ضعف، وأنا أعرف هذا، لكنني وأنا المثخن بالجراح والنازف دما قانيا، سأستجمع قواي لأصرخ«لم تنتصر بعد أيها العدو الشرير للإنسان!»

الزوجة : بجرأة أكبر، يا فارسي! بدموعي أغسل جراحك، وبقبلاتي أوقف نزف دمك القاني!

الإنسان : وأنا أموت في ساحة النزال كما يموت الشجعان، سأدمر بهتافي وحده فرحتك العمياء : لقد انتصرت! انتصرت يا عدوي الشرير، لأني لم اعترف حتى آخر نفس من أنفاسي بسلطانك علي!

الزوجة : بجرأة. بمزيد من الجرأة، يا فارسي! بجرأة أكبر، سأموت معك!

الإنسان : هي. هي. اخرج إلى المعركة! فلتلمع سيوفنا ولترن تروسنا، ولننزل على الرؤوس ضربات تهتز لها الأرض كلها. هيا، إلى النزال!

(يظل «الإنسان» وزوجته في الوضعية ذاتها بعض الوقت ثم يلتفت أحدهما إلى الآخر ويتعانقان)

الإنسان : هكذا سنسوي أمورنا مع الحياة يا زوجتي الصغيرة، أليس كذلك؟ فلتتجهم الدنيا اليوم كبومة تحت الشمس، فسنجعلها تبتسم!

الزوجة : وترقص على أغانينا، إننا اثنان!

الإنسان : إننا اثنان، أنت زوجة جيدة، أنت صديقتي المخلصة، أنت امرأة صغيرة شجاعة. ولن يرعبنا أحد ما دمنا معا. ولا الفقر. اليوم نحن فقيران وغدا سنكون غنيين!

الزوجة : وما هو الجوع؟ اليوم نحن نجوع، وغدا نشبع.

الإنسان : أوتظنين؟ هذا محتمل جدا، لكني ساكل كثيراً، يلزمني الكثير جدا حتى أشعر بالشبع، كيف ترين؟ هل يكفي هذا؟ شاي أو قهوة أو شكولاته في الصباح، لكل ما يريده.. مجال الاختيار مفتوح، ثم الفطور من ثلاثة أطباق ثم الغداء ثم العشاء ثم..

الزوجة : والكثير من الفواكه. أحب الفواكه كثيرا.

الإنسان : حسن. سأشتريها بالسلال من السوق مباشرة : هي هناك أرخص وأنضر، وعلى فكرة سيكون لنا بستاننا.

الزوجة : لكننا لا نملك أرضا!

الإنسان : سأشتري أرضا. كان بودي من زمن بعيد أن تكون لي قطعة أرض، وبالمناسبة سأبني هناك بيتا من تصميمي، ليروا – هؤلاء السفلة – أي مهندس معماري أنا؟

الزوجة : بودي لو يكون في ايطاليا، على البحر مباشرة، فيلا بيضاء من المرمر وسط غابة صغيرة من أشجار الليمون والسرو، تفضي درجاتها المرمرية البيض إلى الموج الأزرق مباشرة.

الإنسان : مفهوم.. هذا جيد، لكنني أعول – بالإضافة إلى هذا – على بناء قصر في النرويج، في الجبال، في الأسفل خليج ضيق صغير، وفي الأعلى فوق قمة الجبل العالية قصر، هل عندنا ورق؟ هيا، انظري إلى الحائط، سأريك. ها هو ذا الخليج، أترين؟

الزوجة : نعم، ما أجمله!

الإنسان : مياه عميقة شفافة، تعكس هنا عشبا بلون أخضر طريا، وهنا حجارة حمراء وسوداء وبنية، وهنا في الفجوة حيث هذه البقعة قطعة من السماء الزرقاء وغيمة بيضاء هادئة.

الزوجة : انظر، زورق أبيض ينعكس في الماء كأنه زوجان من البجع التصقا صدرا إلى صدر.

الإنسان : وهنا يتجه الجبل إلى أعلى. إنه بهيج أخضر في أسفله، ويزداد تجهماً وصرامة كلما توجهنا إلى أعلى، صخور حادة، أشباح سود، قطع من الغمام...

الزوجة : يشبه قصراً مهدماً.

الإنسان : وهنا، عند البقعة الوسطى، سأبني قصراً ملكيا.

الزوجة : هناك البرد القارس! هناك الريح العاصفة!

الإنسان : ستكون هناك جدران سميكة من الحجر ونوافذ ضخمة من قطعة زجاج واحدة. في الليل حين تهيج العاصفة ويهدر الخليج في الأسفل، نغطي النوافذ بالستائر ونشعل موقدا ضخما، ستكون لدينا مواقد ضخمة نشعل فيها جذوعا بكاملها وقطعا هائلة من أشجار الصنوبر!

الزوجة : يا للدفء!

الإنسان : ويا للهدوء أيضا! سجاجيد في كل مكان، والكثير الكثير من الكتب التي تبعث هدوءا حيا دافئا. ونحن الاثنان معا. العاصفة تزمجر، ونحن الاثنان معا، أمام

الموقد، فوق جلد دب أبيض. «أو نلقي نظرة إلى ما يجري هناك؟» تقولين، وأجيبك : حسن، ونقترب كلانا من أكبر نافذة وننزع الستار، يا إلهي ماذا هناك؟!

الزوجة : إنه الثلج يدور ويتكور وينهمر خيوطا!

الإنسان : كأنه جياد بيض مندفعة، كأنه آلاف مؤلفة من أرواح صغيرة مذعورة، شاحبة من الخوف، تبحث عن خلاصها في الليل، ناهيك عن ولولة الريح وصريرها.

الزوجة : يا للبرد! إني ارتجف!

الإنسان : فلنسرع إلى الموقد! هيا اعطوني كأس جدي، لا ليس هذه بل الكأس الذهبية التي كان الفايكنج* يشربون بها، املؤوها خمراً ذهبية! ليس هكذا، بل لترتفع النداوة اللاذعة حتى حافتها. وها هي الظبية تشوى على السفود. احضروها إلى هنا، سآكلها بسرعة وإلا أكلتكم أنتم، إني أتضور جوعا.

الزوجة : لقد أحضروها.. فماذا بعد؟

الإنسان : بعد ذلك سآكلها طبعا، وهل هناك غير هذا؟ لكن

*المشتركون في الرحلات البحرية الاسكندنافية في نهاية القرن الثامن ومنتصف القرن الحادي عشر.

ما الذي تفعلينه برأسي، يا زوجتي الصغيرة؟

الزوجة : أنا ربة المجد! سأضفر لك من أوراق البلوط التي أحضرها الجيران إكليلا أتوجك به. لقد جاءك المجد، المجد الرائع (تضع على رأسه إكليلا).

الإنسان : نعم، المجد الصارخ المدوي، انظري إلى الحائط! ها أنا ذا أخطر، ومن ذا الذي يخطر إلى جانبي، أترين؟

الزوجة : هذا أنا.

الإنسان : انظري. إنهم ينحنون لنا ويتهامسون حولنا، يشيرون إلينا بالبنان، هو ذا عجوز محترم يبكي ويقول : سعيد الوطن الذي ينجب أبناء كهؤلاء، وها هو ذا شاب ينظر وقد شحب لونه، لقد التفت إليه المجد مبتسما، وفي هذا الوقت أكون قد بنيت «بيت الشعب» الذي تفخر به بلادنا كلها.

الزوجة : أنت زوجي المجيد! بك يليق إكليل البلوط لكن إكليل النار بك أليق.

الإنسان : انظري، انظري! ممثلو المدينة التي ولدت فيها يتقدمون مني، ينحنون ويقولون : يشرف مدينتنا...

الزوجة : آه!

الإنسان : ما بك؟

الزوجة : وجدت قنينة حليب.

الإنسان : مستحيل!

الزوجة : ورغيفا، رغيفاً طرياً شهي الرائحة! وسيجاراً..

الإنسان : مستحيل! لقد أخطأت : هذه رطوبة من الجدار اللعين، وأنت حسبتها حليبا.

الزوجة : أؤكد لك ذلك!

الإنسان : سيجار! السجائر لا تنبت على النوافذ، بل تباع في المحلات بأسعار جنونية، لابد أنه غصن أسود مكسور.

الزوجة : ألا نظرت جيدا؟! بدأت أحزر. جيراننا اللطفاء هم الذين جلبوا هذا!

الإنسان : الجيران؟ صدقيني : إنهم أناس من سلالة الآلهة، وحتى لو أن الشياطين أنفسهم أحضروا هذا.. لكن احضريها بسرعة يا زوجتي الصغيرة!

(تجلس زوجة الإنسان على ركبتيه ويأخذان في الأكل، إنها تقتطع من الخبز قطعا صغيرة وتضعها في فمه، وهو يسقيها حليبا من القنينة)

الإنسان : إنها قشدة على الأرجح.

الزوجة : بل حليب، امضغ أفضل وإلا غصصت!

الإنسان : احضري قشرة الرغيف، إنها مشوية جيداً.

الزوجة : ولكني، قلت لك إنك ستغص!

الإنسان : لقد بلعتها.

الزوجة : الحليب يسيل على عنقي وذقني، انه يدغدغني.

الإنسان : احضريه، سأشربه، يجب ألا تهدر قطرة واحدة منه.

الزوجة : يا لك من ماكر!

الإنسان : ها قد انتهينا بسرعة، كل شيء جيد ينتهي بسرعة، لهذه القنينة مقر مزدوج على ما يظهر، انها تبدو أعمق مما هي! يا لهم من نصابين، غشاشين، صانعو الزجاج هؤلاء!

(يدخن السيجار متخذاً وضعية امرئ يرتاح هانئا، هي تربط شعرها بشريط وردي وتنظر إلى نفسها في زجاج النافذة الأسود)

الإنسان : يبدو أنه سيجار غالي الثمن ذو رائحة فواحة ومذاق قوي، سأدخن دائما مثل هذه السيجارات.

الزوجة : ألا ترى شيئا؟

الإنسان : أرى كل شيء، أرى الشريطة، وأرى أنك تريدين أن أقبلك في عنقك العاري.

الزوجة : لن أسمح لك بهذا، وعموما أصبحت قليل الحياء، دخن سيجارك من فضلك، أما عنقي...

الإنسان : ماذا؟ أوليس عنقك ملكا لي؟ يا للشيطان، أيكون اعتداء على الملكية في رأيك؟

(تهرب منه. الإنسان يلحق بها ويقبلها)

هكذا. أعيدت الحقوق إلى أصحابها. والآن إلى الرقص يا زوجتي الصغيرة. تخيلي أن غرفتنا قصر عظيم، فخم، مدهش، فريد، خارق.

الزوجة : تخيلت.

الإنسان : وتخيلي أنك ملكة الحفل.

الزوجة : حاضر.

الإنسان : وان الأمراء والنبلاء والأشراف يتقدمون منك، لكنك تعرضين عنهم وتختارين هذا، ما اسمه، هذا الذي يرتدي رداء صوفيا. الأمير! ما بك؟

الزوجة : أنا لا أحب الأمراء.

الإنسان : هكذا إذن! ومن تحبين إذن؟

الزوجة : أحب الفنانين الموهوبين.

الإنسان : حسن، ها هو ذا يتقدم، لكن يا إلهي، ها أنت تغنجين للفراغ، يا امرأة!

الزوجة : كنت أتخيل.

الإنسان : حسن، تصوري أوركسترا مدهشة، ها هو ذا طبل تركي : بم، بم، بم. **(يضرب بقبضته على الطاولة كأنما على طبل)**

الزوجة : يا عزيزي! في السيرك فقط؟ يجمعون الناس على صوت الطبل، أما في القصر...

الإنسان : آه، يا للشيطان! كفي عن التخيل، بل عودي إليه من جديد. ها هي ذي أصوات الكمان الرخيمة تنساب، والناي يصدح بحنان، والكمان الأجهر* يطن كالجندب..

(يجلس الإنسان وعلى رأسه إكليل البلوط ويدندن لحنا راقصا مصحوبا بصفقات من

---

*الكونترباص.

راحتيه. اللحن هو اللحن نفسه الذي يتكرر في اللوحة التالية، لوحة «الحفل الراقص عند الإنسان». زوجته ترقص ممشوقة رشيقة)

الإنسان : آه، أنت يا غاليتي المجنونة!

الزوجة : بل أنا ملكة الحفل.

(يستمر الغناء والرقص بمزيد من البهجة. وشيئا فشيئا ينهض الإنسان ويأخذ في الرقص قليلا في مكانه أولا، ثم يمسك زوجته ويرقص معها، وقد مال إكليل أوراق البلوط قليلا على رأسه)

أما الشخص الرمادي فينظر بلا مبالاة ممسكاً بيده المتحجرة الشمعة ذات اللهب الساطع.

(يسدل الستار)

اللوحة الثالثة

حفل راقص عند الإنسان

يجري الحفل في قاعة من أفضل قاعات منزل «الإنسان» الواسعة. قاعة عالية جدا وكبيرة، مربعة الشكل ذات جدران بيض ملس تماما، وسقف أبيض أيضا وأرض فاتحة اللون. هناك بعض من عدم التناسب في مقاسات الغرفة وبين أجزائها المختلفة، وهكذا فالأبواب صغيرة جدا بالنسبة إلى النوافذ، حيث تحدث القاعة انطباعا غريبا مهيجا بعض الشيء، كأنما هناك شيء ما متنافر، زائد، دخيل. كل شيء مسكون ببياض بارد لا يخل برتابته إلا صف نوافذ على امتداد الجدار الخلفي. نوافذ عالية تكاد تصل حتى السقف، متقاربة، تكسوها ظلمة الليل سوادا كثيفا ... فلا نقطة أو بقعة مضيئة واحدة في المساحات بين الأطر. يظهر غنى «الإنسان» في وفرة المذهبات : كراسي مذهبة ولوحات مؤطرة بأطر ذهبية واسعة، إنها الأثاث الوحيد والزينة الوحيدة في هذه القاعة الواسعة الخالية، القاعة مضاءة بثلاث ثريات على شكل عناقيد تضيىء فيها شموع كهربائية قليلة متباعدة، ترسل نوراً عاليا في الأعلى يتضاءل إلى حد كبير في الأسفل حيث تبدو الجدران ذات لون ضارب إلى الرمادي.

الحفلة في ذروتها. تعزف أوركسترا من ثلاثة أشخاص، زد على ذلك أن العازفين يشبهون آلاتهم شبها كبيرا، فالعازف على الكمان يشبه

الكمان : رقبة مخيفة ورأس صغيرة عليها ذؤابة شعر مائلة إلى جانب، وجذع مقوس قليلا، العازف على الناي يشبه الناي : طويل جدا، ونحيل جدا، ذو رجلين نحيلتين مضمومتين، والعازف على الكونترباص يشبه الكونترباص، قصير القامة ذو كتفين مائلين، بدين جدا في قسمه السفلي، يرتدي بنطالا واسعا.

يعزفون باجتهاد غير عادي مثير للانتباه فهم ينقرون إيقاعا، يهزون رؤوسهم ويتمايلون. واللحن واحد طوال الحفلة. وهو عبارة عن «بولكا»*، قصيدة من جملتين موسيقيتين. ذات نغمات صوتية مرحة وفارغة تماما. الآلات الثلاث تعزف في نغمات تشذ إحداها عن الأخرى بعض الشيء، ولهذا فبينها وبين الأصوات المنفردة نوع من القطيعة الغريبة ونوع من المساحات الفارغة.

شبان وشابات يرقصون رقصات حالمة. كلهم في غاية الجمال والرشاقة والتناسق. وبعكس أصوات الموسيقى الزاعقة فإن رقصهم انسيابي جدا وخفيف وغير مسموع،مع الجملة الموسيقية الأولى يدورون ، ومع الثانية يتباعدون ويتقاربون على نحو رشيق فيه بعض التكلف.

على امتداد الجدران يجلس ضيوف على كراسٍ مذهبة، وقد تجمدوا في وضعيات مفرطة في التأدب، يتحركون بتؤدة بالغة، يكادون لا يديرون رؤوسهم، ويتكلمون بتؤدة بالغة، لا يتهامسون ولا يضحكون، بل حتى دون أن ينظر أحدهم إلى الآخر تقريبا، ولا يلفظون إلا الكلمات الواردة في النص

*البولكا : لحن شعبي روسي (قوقازي) شهير، رسم المؤلف النوتة الخاصة به في الأصل.

وكأنهم يقطعونها، أيديهم جميعا كأنها مقطوعة عند الكف، ولذا فهي تتدلى بلا مبالاة وبعجرفة. وكل الوجوه مسكونة – على الرغم من تنوعها الظاهر والحاد – بتعبير واحد هو الرضا عن الذات والغطرسة والإجلال البليد لثروة «الإنسان» وغناه.

الراقصات يرتدين اللون الأبيض فقط والراقصون الأسود، بين الضيوف من يرتدي اللون الأسود والأبيض والأصفر الفاقع.

في زاوية قريبة أشد إظلاما من سواها يقف الشخص بالزي الرمادي المسمى «هو» دون حراك. لقد تقلصت الشمعة التي في يده حتى ثلثها، وهي تضيء الآن بنور أصفر قوي ملقية بقعا صفراء على وجهه الحجري وذقنه.

حديث الضيوف :

– يجب أن ألاحظ أنه شرف جد كبير أن يحل المرء ضيفا على «الإنسان» في حفلة راقصة.

– ويمكنك أن تضيفي أنه لم يحظ بهذا الشرف إلا قلة، المدينة كلها كانت تسعى للحصول على دعوة، لكن لم يسعد الحظ إلا القليلين، زوجي وأولادي وأنا نعتز بالغ الاعتزاز بالشرف الذي أسبغه علينا «الإنسان» الذي نكن له أعمق الاحترام.

– إني أرثي لحال الذين لم يفلحوا في الحضور. إنهم لن يناموا طوال ليلهم حسداً، ومع ذلك سيأخذون غدا

في إشاعة الأقاويل عن الضجر الذي يسود حفلات «الإنسان».

– إنهم لم يروا أبدا هذا الرونق والجلال.

– بل قولي هذا الغنى وهذا الترف المدهشين.

– وأنا أقول هذا المرح الساحر اللاهي، بودي أن أعرف أين يكون المرح ان لم يكن هنا؟

– لا طائل من مناقشة الناس حين يتآكلهم الحسد، سيقولون لك إننا لم نجلس أبدا على كراس مذهبة، ليس على الذهب إطلاقا.

– وانها كانت أبسط الكراسي وأرخصها، كراسي من تلك التي تشترى من بائع العتائق!

– وان الكهرباء لم تضىء لنا أبدا، بل مجرد شمعات من الشحم.

– بل من الشحم الردىء.

– بل فتائل جد رديئة، يا للافتراء!

– وسينكرون بكل وقاحة أن في بيت «الإنسان» أفاريز مذهبة.

– وان اللوحات عنده ذات أطر عريضة من الذهب، يبدو لي أني أسمع رنين الذهب.

– إنك ترين بريقه، وهذا يكفي كما أظن.

– أنا نادراً ما أتمتع بموسيقى كتلك التي أسمعها في حفلات «الإنسان»، إنها انسجام إلهي يحمل الإنسان إلى أجواء علوية.

– آمل أن تكون الموسيقى جيدة بما فيه الكفاية ما دامت تدفع لقاءها هذه المبالغ من المال، يجب ألا تنسوا أن هذه أفضل أوركسترا في المدينة، وأنها لا تعزف إلا في المناسبات الاحتفالية الكبرى.

– وهذه الموسيقى تظل تتردد في الأذن فترة طويلة، انها تسيطر عليك. وأولادي حين يعودون من حفلات «الإنسان» يظلون يرددونها فترة طويلة.

– يبدو لي أحيانا أني أسمعها في الشارع، فألتفت فلا أرى موسيقيين ولا موسيقى.

– وأنا أسمعها في نومي.

– ويجب أن أقول إن ما يعجبني – شديد الإعجاب – أن الموسيقيين يعزفون بهمة ونشاط عاليين. فهم

يدركــون مقــدار ما يدفــع لهـم على موسيقاهــم، ولا يرغبون في أخذ النقود مجانا. وهذا شيء شريف جدا!

– بل حتى يبدو لي، لشدة ما يجهدون أنفسهم، انهم قد دخلوا في الاتـهـم. فـهـم إلى هـذا الحد يبذلون جهدهم.

– بل قل : الآلات دخلت فيهم.

– يا للغنى!

– يا للبهاء!

– يا للنور الباهر!

– يا للغنى!

(تظل هاتان العبارتان فقط «يا للغنى!» «يا للبهاء!» تترددان بعض الوقت في أنحاء مختلفة من القاعة بشكل متقطع وبصوت يشبه النباح)

– في بيت «الإنسان» خمس عشرة حجرة فخمة بالإضافة إلى هذه القاعة، ولقد رأيتها كلها. غرفة طعام ذات موقد ضخم يمكن إشعال جذوع أشجار كاملة فيه، وغرف استقبال فخمة ومخدع للسيدة،

وغرفة نوم فسيحة وفوق رأس السريرين تصوروا ماذا يوجد؟! مظلة!.

- نعم، المظلة. هذا شيء رائع!

- هل سمعتم؟ مظلة!

- اسمحوا لي أن أتابع، ولابنهما الصغير غرفة مضيئة رائعة من الخشب الأصفر بلون الذهب، يخيل إليك أن الشمس تنيرها دائما.

- يا له من فتى رائع! خصل شعره كأشعة الشمس.

- هذا صحيح، حين تنظر إليه، تتساءل إن لم تكن الشمس هي التي طلعت!

- وحين تنظر في عينيه تقول في نفسك : انتهى الخريف، وظهرت السماء الزرقاء من جديد.

- «الإنسان» يحب ابنه حباً جنونياً. وقد اشترى له مهراً، مهراً لطيفا أبيض يركبه. وأطفالي..

- دعيني أتابع، أرجوك. هل حدثتكم عن الحمام؟

- لا ! لا !

- هكذا إذن، حمام!

– آه، حمام!

– نعم. ماء ساخن باستمرار. يليه غرفة مكتب «الإنسان»، وثمة لاترى سوى الكبت.يقال إنه ذكي جدا وهذا واضح من المكتب!

– أنا شاهدت الحديقة!

– أنا لم أر الحديقة.

– أما أنا فقد شاهدت الحديقة وسحرتني. يجب أن اعترف بذلك، تصوروا. تصوروا : عشب أخضر لا زوردي مقصوص باستقامة مدهشة، يمر في وسطه طريقان صغيران مفروشان برمل أحمر ناعم! وهناك زهور، لا بل أشجار نخيل أيضا.

– أشجار نخيل أيضا!

– نعم، أشجار نخيل أيضا، والأشجار كلها مشذبة كذلك، بعضها كالأهرامات، وبعضها كأعمدة خضر، والنوافير، والكرات البلورية.. وبين خضرة العشب تنتصب تماثيل من جبس لغزلان وآلهة خرافية.

– يا للغنى!

– يا للترف!

(تتكرر بشكل متقطع عبارتا «يا للغنى!» و«يا للترف!» عدة مرات).

– السيد «الإنسان» شرفني بأن أراني اصطبلاته وعنابره، وقد أبديت رضاي التام عن الخيول والعربات الموجودة هناك، أما السيارة فقد تركت في انطباعا عميقا.

– تصوروا : عنده من الخدم وحدهم سبعة، طاه وطاهية وخادمتان وبستانيون.

– نسيت السائس.

– نعم، والسائس طبعا.

– وهؤلاء، لم يعودوا يعملون شيئا، صاروا أشخاصا مهمين.

– يجب أن نعترف أنه لشرف كبير للمرء أن يحل ضيفا على «الإنسان».

– ألا تجدون أن الموسيقى على شيء من الرتابة؟

– لا، لا أجد هذا، وأعجب منك كيف ترى ذلك؟!

أولا ترى أي موسيقيين هؤلاء؟

– بودي أن أقول لكم إني كنت طوال حياتي أرغب في سماع موسيقى كهذه، إن فيها شيئا ما يثيرني.

– ويثيرني أنا أيضا.

– وأنا أيضا.

– ما أروع أن يستسلم المرء تحت تأثيرها إلى أحلام حلوة تدور حول النعيم!

– وأن نطير بالفكر إلى عوالم علوية!

– ما أروع هذا!

– يا للغنى!

– يا للبهاء!

(يكررون هذه العبارات)

– أرى حركة عند تلك الأبواب. الآن سيعبر «الإنسان» القاعة مع زوجته.

– الموسيقيون تكاد قواهم تخور من الجهد.

– ها هما!

– إنهما قادمان! انظروا .. انهما قادمان.

- في الأبواب الواطئة عند الجهة اليمنى يظهر «الإنسان» وزوجته وأصدقاؤه وأعداؤه، يجتازون الصالة باتجاه منحرف متجهين إلى الأبواب التي في الجهة اليسرى. الراقصون يتفرقون أزواجا مفسحين لهم الطريق مع استمرارهم في الرقص. الموسيقيون يعزفون بحماسة بالغة عزفاً عاليًا ومتنافراً.

الإنسان شاخ كثيرا : في شعره الطويل وفي لحيته كثير من الشعر الشائب، لكن وجهه جميل ويوحي بالرجولة. إنه يسير بوقار هادىء وببعض البرودة، ينظر أمامه مباشرة كأنه لا يلاحظ من حوله، كذلك شاخت زوجته المستندة إلى ذراعه، لكنها مازالت جميلة، هي أيضا لاتلاحظ من حولها، بل تنظر أمامها مباشرة نظرة غريبة تكاد تكون جامدة. الاثنان يلبسان لباساً فاخراً.

يتبع «الإنسان» مباشرة أصدقاؤه وكلهم متشابهون : وجوه كريمة، جباه عالية مفتوحة، عيون شريفة، يسيرون باعتزاز مرفوعي الصدور، ينقلون خطواتهم بثقة وثبات وينظرون حولهم بترفع وباستهزاء خفيف، كلهم يضعون في عرواتهم ورودا بيضاء.

يلي ذلك على مسافة قصيرة أعداء الإنسان وكلهم

متشابهون : جميعهم ذوو وجوه ماكرة سافلة، وجباه ضيقة واطئة، أذرع طويلة كأذرع القردة، يلقون على الجانبين نظرات حادة، ماكرة، حاسدة، وهم يسيرون باضطراب متدافعين محدودبي الظهور يختفي أحدهم خلف الآخر. في عرواتهم ورود صفراء.

وهكذا يعبرون جميعهم القاعة ببطء وصمت تام. وقع الأقدام والموسيقى، صيحات الضيوف تخلق ضجيجا متنافرا إلى حد ما.

– ها هما! ها هما! يا له من شرف!

– ما أجمله!

– يا له من وجه يفيض بالرجولة!

– انظروا! انظروا!

– إنه لا ينظر إلينا!

– إنه لا يرانا!

– نحن ضيوفه!

– يا له من شرف! يا له من شرف!

– وكيف هي؟ انظروا! انظروا!

- ما أروعها!

- ما أشد اعتزازها!

- لا، لا، انظروا إلى الماس!

- الماس! الماس!

- اللؤلؤ! اللؤلؤ!

- يا للغنى! يا له من شرف!

- يا للشرف! يا للشرف! يا للشرف!

- الياقوت الأحمر!

(تتكرر هذه العبارات)

- وها هم أصدقاء الإنسان!

- انظروا، انظروا! ها هم أصدقاء الإنسان!

- وجوه نبيلة!

- خطوات مليئة بالعزة!

- عليهم هالة من مجده!

– ما أشد حبهم له!

– وما أخلصهم!

– يا له من شرف أن يكون المرء صديق الإنسان!

– إنهم ينظرون إلى أي شيء وكأنه ملك يمينهم.

– إنهم هنا في بيتهم.

– يا له من شرف!

– شرف! شرف! شرف!

(يكررون)

– وها هم أعداء الإنسان!

– انظروا، انظروا، ها هم أعداء الإنسان!

– يمشون ككلاب ذليلة!

– الإنسان روضهم.

– ووضع أكمة على أفواههم!

– إنهم يهزون بأذنابهم.

– وينسلون كالمتلصصين!

– ويتدافعون!

– ها، ها! ها، ها!

(يقهقهون)

– يا للوجوه السافلة!

– ويا للنظرات الجشعة!

– والجبناء!

– والحاسدون!

– انهم يخشون النظر إلينا.

– يشعرون أننا في بيتنا.

– يجب إخافتهم أكثر!

– سيكون «الإنسان» شاكرا لنا!

– القوا الذعر في نفوسهم!

– هو ـ هو!

(يصرخون على أعداء «الإنسان» مازجين صرخة هو - هو بقهقهة عالية، يلتصق أعداء الإنسان أحدهم بالآخر، وهم يلقون حولهم نظرات خائفة حادة)

- إنهم يغادرون! يغادرون!

- يا له من شرف!

- انهم يخرجون!

- هو - هو! ها، ها!

- خرجوا! خرجوا! خرجوا!

(يختفي الموكب في الباب من الناحية اليسرى، يخيم بعض الهدوء، الموسيقى تعزف بقوة أقل، الراقصون يملؤون القاعة شيئا فشيئا)

- إلى أين ذهبوا؟

- اعتقد أنهم ذهبوا إلى غرفة الطعام حيث أعدت مائدة العشاء!

- لابد أن ندعى نحن أيضا بعد قليل. ألم تروا أحداً يبحث عنا؟

- نعم، حان الوقت، إذا تأخرنا في الجلوس إلى المائدة، لن نهنأ في نومنا ليلا.

- لابد أن ألاحظ أني أنا أيضا أتناول عشائي في وقت مبكر جداً.

- العشاء المتأخر يثقل على المعدة.

- الموسيقى مازالت تعزف!

- والراقصون يرقصون! عجبا كيف لا يتعبون!

- يا للغنى!

- يا للبهاء!

- ألا تعرفون عدد المدعوين على العشاء؟!

- لم أتمكن من العد، دخل رئيس الخدم فاضطررت إلى الانسحاب.

- لا يمكن أن يكونوا قد نسونا!

- لكن «الإنسان» على قدر عظيم من الكبرياء، ونحن على قدر عظيم من الضعة!

- دعي عنك هذا! فزوجي يقول إننا نحن الذين نشرفه بوجودنا في بيته. إننا على قدر كاف من الغنى.

– إذا أخذنا سمعة زوجته بعين الاعتبار.

– ألا ترون أحدا يبحث عنا؟ لعله يبحث عنا في الغرف الأخرى؟

– يا للغنى!

– أظن أن بإمكان المرء أن يصبح غنيا إذا لم يتصرف بحذر كاف في أموال الآخرين!

– دعكم من هذا الكلام، هذا ما يقوله أعداؤه.

– إلا أن بينهم أناسا محترمين، ويجب الاعتراف بأن زوجي...

– الوقت تأخر كثيرا!

– واضح، هناك خطأ ما! لا استطيع التسليم بأنهم نسونا هكذا بكل بساطة.

– يظهر أنك لا تعرف جيدا الحياة والناس ما دمت تفكر بهذه الطريقة.

– إني مندهش. فنحن على قدر كاف من الغنى.

– ألعل أحدا دعانا؟

– هذا بدا لك! لم ينادنا أحد، ويجب الاعتراف صراحة أني لا أفهم لماذا أتينا إلى بيت له هذه السمعة. علينا أن نختار معارفنا بحذر.

(يظهر في الباب خادم بزيه الرسمي)

– السيد «الإنسان» وعقيلته يدعوان السادة المحترمين إلى المائدة. **(ينهض الضيوف على عجل)**

– يا له من زي رائع!

– لقد دعانا!

– قلت لكم ان هناك خطأ!

– الإنسان في غاية اللطف! هم أنفسهم لم يجلسوا، على الأرجح، إلى المائدة بعد.

– سألتكم عما إذا كان هناك أحد يبحث عنا.

– يا لزي الخادم!

– يقال إن العشاء رائع!

– لا شيء عند الإنسان يمكن أن يكون غير رائع.

– يا للموسيقى! أي شرف أن يكون الواحد منا في حفل الإنسان.

- فليحسدنا أولئك الذين...

- يا للغنى!

- يا للبهاء!

- يا له من شرف!

- يا له من شرف!

(يتركون القاعة أحدهم تلو الآخر وهم يرددون العبارات السابقة. القاعة تخلو شيئا فشيئا. الراقصون يتركون الرقص زوجا إثر زوج ويلتحقون بالضيوف في صمت. زوج واحد من الراقصين يستأنف رقصه في الحلبة بعض الوقت، ثم ما يلبث أن يلحق بالآخرين. لكن الموسيقيين يستمرون في العزف بالدأب المحموم السابق ذاته.

أحد الخدم يطفىء الثريات تاركا شمعة واحدة مضاءة في ثريا بعيدة ويخرج، وفي شبه العتمة المخيمة تهتز على نحو غامض أجسام الموسيقيين الذين يتمايلون مع آلاتهم، ويبرز الشخص بالزي الرمادي بشكل واضح. نور الشمعة يهتز ويضيىء وجهه الحجري وذقنه بنور أصفر ساطع.

يستدير الشخص قليلا دون أن يرفع رأسه، ويمضي ببطء عبر القاعة كلها بخطوات هادئة خرساء، يضيء نور الشمعة الأبواب التي خرج منها «الإنسان» ويغيب فيها)

(يسدل الستار)

اللوحة الرابعة

شقاء «الإنسان»

غرفة مربعة واسعة ذات منظر موحش : جدران قاتمة ملس، وأرض الغرفة وسقفها بالقتامة ذاتها. في الجدار الخلفي نافذتان عاليتان ذواتا ثمانية ألواح من الزجاج غير مغطاة بستائر، الباب على مصراعيه، تسود ظلمة الليل الحالكة في الغرفة بسرعة. وعموما أيا كان مقدار الضوء فإن الجدران القاتمة في غرف «الإنسان» تطغى على الضوء، في الجدار الأيسر باب ضيق يفضي إلى الداخل.

وقرب هذا الجدار ديوان واسع مغطى بمشمع أسود، وقرب النافذة يمينا طاولة عمل بسيطة جدا تنم عن البؤس والفقر، عليها مصباح يرسل ضوءا خافتا تحت كمه (أبا جور) قاتمة وبقعة صفراء هي عبارة عن رسم هندسي مبسوط وألعاب أطفال : خوذة صغيرة، حصان خشبي صغير من دون ذيل، بهلول أحمر طويل الأنف بأجراس صغيرة، في الفسحة بين النافذتين مكتبة قديمة مفرغة مازالت عليها خطوط من الغبار هي من أثر الكتب التي أخذت منها منذ فترة قصيرة كما هو واضح، وكرسي واحد. في أشد الزوايا عتمة يقف الشخص بالزي الرمادي الذي اسمه «هو» الشمعة التي في يده ليست أكثر من زبالة غليظة ترسل نوراً راعشاً ضارباً إلى الحمرة، وحمراء كذلك هي بقع الضوء على وجه الشخص ذي الزي الرمادي وذقنه.

خادم «الإنسان» الوحيد هي امرأة عجوز، تجلس على الكرسي وتتكلم بصوت خال من الانفعال متوجهة إلى محدث وهمي .

الخادمة : ها قد عاد «الإنسان» فقيراً. كان عنده الكثير من الأشياء الثمينة والجياد والعربات، بل كانت عنده سيارة، لكنه لا يملك شيئا الآن، ولم يبق من خدمه سواي. في هذه الغرفة وفي اثنتين أخريين مازالت هناك بعض الأشياء الجيدة كـ (الديوان، الخزانة)، أما في الاثنتي عشرة الأخرى فلا يوجد فيها شيء. كلها فارغة ومظلمة. الجرذان تركض فيها ليل نهار وهي تتعارك وتزعق، والناس يخافونها، أما أنا فلا. كل شيء عندي سواء.

منذ مدة طويلة علقت على الأبواب لوحة حديدية كتب عليها «البيت برسم البيع»، لكن أحداً لم يتقدم لشرائه.

اللوحة صدئت وانمحت الحروف منها بفعل المطر، لكن أحداً لم يتقدم لشرائه. لا أحد يحتاج إلى بيت قديم، وإذا ما تقدم أحدهم واشترى البيت، فسنذهب للبحث عن منزل جديد، وسيكون هذا المنزل غريبا تماماً علينا، ستأخذ السيدة في البكاء، وقد يبكي السيد العجوز أيضا، أما أنا فلن أفعل. كل شيء عندي سواء. تعجبون لثروته أين اختفت. لاأدري. لعل هذا

شيء عجيب فعلا، لكني عشت عمري كله أخدم الناس وكثيرا مارأيت النقود تذهب، تفور رويدا رويدا في الشقوق. وهذا عين ماحصل لسادتي هؤلاء. كان عندهم الشيء الكثير ثم أمسى قليلا، ثم لم يبق شيئا. كان الزبائن يأتون إليهم ويوصونهم، ثم كفوا عن المجيء. سألت سيدتي مرة عن السبب. قالت : «ما عاد يعجبهم ما كان يعجبهم، ما عادوا يحبون ماكانوا يحبون». كيف يمكن أن يحدث هذا .. أن لا يعجب المرء شيئا بعد أن يكون قد أعجبه هذا الشيء؟ لم تجبني بل أخذت تبكي، أما أنا فلا. كل شيء عندي سواء، كل شيء عندي سواء.

إني أعيش عندهم مادامو يدفعون لي، ولكن ما أن يتوقفوا عن الدفع سأذهب إلى أناس آخرين لأعيش عندهم. بعدما كنت أطبخ لهم سأطبخ للآخرين، ثم أتوقف عن المطبخ تماما. فأنا أمسيت عجوزا ولم أعد أرى بوضوح. سيطردونني عندئذ ويقولـــون لي : اذهبي أينما تشائين، أما نحن فسنأخذ امرأة أخرى. ما العمل؟ سأذهب. فالأمر سيان عندي.

الناس يعجبون مني. يقولون : شيء مخيف أن يعيش المرء عندهم، شيء مخيف أن تجلس مساء حين

لايسمع إلا صوت الريح يصفر في المدفئة والجرذان تتعارك.

لا أدري، قد يكون الأمر مخيفا، ولكني لا أفكر في هذا، ولماذا أفكر؟ هما وحدهما يجلسان في غرفتهما يتبادلان النظر ويستمعان إلى صوت الريح، وأنا أجلس في المطبخ وحدي واستمع إلى صوت الريح وحدي. أوليست ريحا واحدة تصفر في آذاننا؟ كان يأتي شبان إلى ابنهم. فكانوا جميعا يضحكون ويغنون ويدخلون الغرف الفار غة ليطردوا الجرذان. ولم يأت إلي أحد. فكنت أجلس وحيدة، وحيدة تماما. لم يكن هناك من أتحدث إليه فكنت أحدث نفسي. كل شيء عندي سواء.

نعم، لقد ساءت حالهم. ومنذ ثلاثة أيام حلت بهم مصيبة أخرى. خرج ابنهم الشاب يتنزه. أمال قبعته وسوى شعره كما يفعل الفتيان الأشداء وخرج. في الطريق رماه شخص شرير بحجر غدراً فحطم رأسه كما تحطم جوزة. حملوه إلى البيت ومددوه. إنه الآن ممدد في سريره يحتضر، أو لعله يبقى على قيد الحياة، من يدري؟ بكت السيدة العجوز وبكى السيد العجوز، ثم أخذا كل الكتب ووضعاها في عربة وباعاها، وبهذه النقود استأجرا ممرضة واشتريا

أدوية بل حتى اشتريا عنبا. نعم، نفعتهم الكتب! إلا أنه لا يأكل العنب، بل حتى لا ينظر إليه. والعنب مازال كما هو.

(يدخل الطبيب من الباب الخارجي متجهما ومهموما)

الطبيب : هل جئت المكان المطلوب؟ ألا تعرفين يا عجوز؟ أنا طبيب، ولدي زيارات كثيرة، وكثيرا ما أخطىء، أدعى إلى أمكنة مختلفة والبيوت كلها متشابهة وأهلها مملون. أتراني جئت المكان المطلوب؟

العجوز : لا أعرف.

الطبيب : سأنظر في مفكرتي. أليس عندكم الطفل الذي يؤلمه حلقه ويشعر باختناق؟

العجوز : لا.

الطبيب : أليس عندكم السيد الذي علقت عظمة في حلقه؟

العجوز : لا.

الطبيب : أليس عندكم الشخص الذي جن فجأة من فقره وذبح زوجته وولديه بفأس؟ يجب أن يكون مجموعهم أربعة، أليس كذلك؟

العجوز : لا.

الطبيب : أليس عندكم الفتاة التي توقف قلبها عن النبض؟ لا تكذبي يا عجوز، أظنها عندكم.

العجوز : لا.

الطبيب : لا. أصدقك، إنك تتكلمين بصدق. أليس عندكم الشاب الذي هشم رأسه بحجر وهو الآن في نزعه الأخير؟

العجوز : بلى، ادخل من هذا الباب، على اليسار، لكن لا تبتعد كثيرا، فهناك تأكلك الجرذان.

الطبيب : حسن. يتلفنون، جميعهم يتلفنون ليل نهار، وها قد حل الليل. المصابيح كلها أطفئت، وأنا أمضي من بيت إلى بيت. وكثيرا ما أخطىء يا عجوز (يغيب في الباب المؤدي إلى داخل البيت).

العجوز : في أول الأمر عالجه طبيب ولم يشفه، والآن يعالجه طبيب آخر ولن يشفيه على ما يبدو، وماذا في الأمر؟ سيموت ابنهما، ونبقى في البيت وحدنا. أنا أجلس في المطبخ وأحدث نفسي وهما يجلسان صامتين. مفكرين. غرفة أخرى ستخلو، وستركض فيها الجرذان وتتعارك. وتتعارك. كل شيء عندي سواء، كل شيء سواء.

تسألونني لماذا رمى الشخص الشرير السيد الشاب بحجر، لا أعرف، ومن أين لي أن أعرف لماذا يقتل الناس بعضهم بعضا؟ أحدهم رمي بالحجر غدرا، وآخر سقط على الأرض، وهو الآن بين الحياة والموت.. هذا كل ما أعرفه. يقال إن سيدنا الشاب كان طيبا، شجاعا، يدافع عن الفقراء.. لاأدري، كل شيء عندي سواء. طيبا أو شريرا، شابا أو عجوزا، حيا أو ميتا.. هذا كله لايهمني. كل شيء عندي سواء.

سأبقى عندهم ماداموا يدفعون، وحين يكفون عن الدفع اذهب إلى غيرهم : سأطبخ للآخرين ثم أكف نهائيا عن الطبخ، عجوزا صرت، نظري ضعيف، لا أميز الملح من السكر، عندئذ سيطردونني ويقولون لي : اذهبي حيث شئت، سنأخذ واحدة غيرك. وماذا في الأمر؟ سأذهب. كل شيء عندي سواء. كل شيء عندي سواء.

(يدخل الطبيب و«الإنسان» وزوجته، الإنسان وزوجته شاخا كثيرا، الشيب يغطي رأسيهما تماما. شعر الإنسان الطويل المنتصب ولحيته الكبيرة يسبغان على رأسه شبها برأس الأسد : يمشي محني الظهر قليلا لكنه مرفوع الرأس دائما، وينظر من تحت حاجبيه الأشيبين بصرامة وحزم. عندما يتفحص شيئا ما عن قرب يضع نظارة كبيرة ذات إطار فضي)

الطبيب : ابنكما راح في نوم عميق فلا توقظاه، النوم قد يكون دليل تحسن. وأنتما اغفوا. إذا كان لدى المرء وقت للنوم، يجب أن ينام لا أن يتمشى ويتحدث.

الزوجة : أشكرك يا دكتور، فقد طمأنتنا، ألن تأتي إلينا غدا؟

الطبيب : غدا سآتي، وبعد غد، وأنت يا عجوز اذهبي أيضا إلى النوم. الليل أطبق وحان الوقت لأن ينام الجميع، من هذا الباب يجب أن أخرج؟ إني كثيرا ما أخطىء.

(يخرج، كما تخرج العجوز بعده، ويبقى الإنسان مع زوجته)

الإنسان : انظري يا زوجتي : بدأت أرسم هذا عندما كان بيننا متمتعا بصحته، توقفت عند هذا الخط وقلت في نفسي: أرتاح قليلا وأتابع الرسم. انظر ي ما أبسط هذا الخط وأهدأه، أما الآن فأشعر بالرعب حين انظر إليه. قد يكون آخر خط أرسمه وابننا على قيد الحياة، أي عمى بصيرة مشؤوم ينبعث من بساطته وهدوئه!

الزوجة : لا تقلق يا عزيزي، اطرد عنك الأفكار الشريرة، أنا واثقة أن الدكتور قال الحقيقة، وأن ابننا سيشفى.

الإنسان : وأنت، ألست قلقة؟ انظري إلى نفسك في المرآة : وجهك ببياض شعرك ياصديقتي القديمة.

الزوجة : أنا قلقلة قليلا طبعا، لكني متيقنة أن لا خطر عليه.

الإنسان : أنت الآن، كما كنت دائما، تشجعينني وتخدعينني بصدق وقداسة لامثيل لهما. يا حاملة سلاحي المسكينة، يا حافظة سيفي المثلوم الأمينة. فارسك القديم ساءت حاله، ويده الواهنة لا تقوى على حمل سلاحه. ماذا أرى؟ لعب ابننا؟ من وضعها هنا؟

الزوجة : نسيت يا عزيزي : أنت وضعتها هنا منذ زمن بعيد. قلت وقتها إن العمل يسهل عليك حين تكون لعب الأطفال البريئة هذه أمامك.

الإنسان : نعم، نسيت، والآن أشعر برعب وأنا أنظر إليها، كالرعب الذي يتملك المحكوم عليه حين يرى أدوات تعذيبه وإعدامه، حين يحتضر طفل تصبح لعبه لعنة على الأحياء. زوجتي! زوجتي! إني أشعر بالرعب حين أنظر إليها.

الزوجة : لقد اشتريناها حين كنا فقراء. يحزنني منظرها لشدة ما هي عليه من لطف وبؤس.

الإنسان : لا استطيع أن أمنع نفسي من لمسها بيدي، ها هوذا الفرس بذنبه المقطوع.

هب، هب، إلى أين تركض يا فرس؟ «بعيدا يا بابا، بعيداً حيث الحقول والغابات الخضر». خذني معك يا فرس. «هب، هب، اركب يابابا العزيز»... وها هي ذي الخوذة الكرتونية الرديئة التي قستها وأنا أضحك حين اشتريتها. من أنت؟ «فارس يا بابا. أنا أقوى وأجرأ فارس». إلى أين أراك منطلقا يا فارسي الصغير؟ لأقتل التنين يا بابا العزيز، إني ذاهب لأحرر الأسرى يا بابا. امض، امض يا فارسي الصغير.

(زوجة الإنسان تبكي)

وها هو ذا بهلواننا، الذي لم يتغير، بسحنته الغبية واللطيفة، ماأكثر خدوشه كأنه خارج من مئة معركة، لكنه مازال يضحك رغم هذا، ومازال قاني الأنف، هيا رن كما كنت ترن في السابق يا صديقي، لاتستطيع، لا. تقول بقي لديك جرس واحد؟ سألقي بك على الأرض إذاً! **(يلقي به على الأرض)**

الزوجة : ماذا تفعل؟ تذكر كم كان ابننا الصغير يقبل وجهه المضحك.

الإنسان : أجل، لست على حق، سامحيني يا صديقتي، وأنت ياصديقي العجوز سامحني **(يتناوله من الأرض وهو ينحني بصعوبة)**. مازلت تضحك؟ سأضعك

بعيدا. لا تغضب، لكني لااستطيع رؤية ابتسامتك الآن، اذهب واضحك في مكان آخر.

الزوجة : كلماتك تقطع نياط القلب. صدقني، ابننا سيتعافى، فهل من العدل حقا أن يموت الشاب قبل الشيخ؟

الإنسان : وأين رأيت العدل يا امرأة؟!

الزوجة : أرجوك، يا صديقي العزيز، لنحن ركبتينا معا، ولنبتهل إلى الله.

الإنسان : الركب التي دبت فيها الشيخوخة تنحني بصعوبة.

الزوجة : احنها، يجب أن تحنيها.

الإنسان : لن يسمعني ذاك الذي لم أثقل على أذنيه بتسبيح ولابأضرعة، ابتهلي أنت، أنت أم.

الزوجة : ابتهل إليه أنت، أنت أب! إذا لم يبتهل إليه الأب لأجل ابنه، فمن ذا الذي يفعل؟ أو تخذله؟ وهل استطيع أن أقول أنا وحدي مثل الذي يمكن أن نقوله معا؟

الإنسان : فلتكن مشيئتك، لعل العدالة الأزلية تستجيب للشيوخ إذا ما حنوا ركبهم.

(يجثوان معا متوجهين إلى الزاوية حيث يقف المجهول متجمدا، ويضمان أيديهما إلى صدريهما في ضراعة)

صلاة الأم : أرجوك، يا إلهي، دع الحياة لابني. شيء واحد أفهمه، شيء واحد، شيء واحد فقط يمكنني قوله : دع الحياة لابني. يا إلهي! ليس عندي كلمات أخرى، كل شيء حولي مظلم، كل شيء يتداعى، لا أفهم شيئا، ورعب هائل يتملك روحي يا إلهي بحيث لا استطيع إلا أن أقول شيئا واحدا : يا إلهي، دع الحياة لابني! دع الحياة لابني! دعها.. سامحني لأني أصلي بهذا الشكل الردىء، لكني لا استطيع. أنت تدرك، يا إلهي، أني لا استطيع، انظر إلي. يكفي أن تنظر إلي، أترى؟ أترى كيف تهتز رأسي وترتعش يداي بل جسمي كله؟ يا إلهي أشفق عليه، انه مازال يافعا وله شامة على يده اليمنى، دعه يعيش ولو قليلا، ولو قليلا. إنه مازال يافعا وغبيا، مازال يحب الأشياء الحلوة، وأنا اشتريت له عنبا! اشفق عليه! اشفق عليه!

(تبكي بصوت خافت مغطية وجهها بيديها. يتكلم الإنسان دون أن ينظر إليها)

صلاة الأب : ها أنا ذا أصلي فهل تراني؟ ها أنا ذا أحني ركبتي اللتين دبّت فيهما الشيخوخة، وأعفّر وجهي بالتراب أمامك، وأقبل الأرض بين يديك. فهل تراني؟ قد أكون أهنتك في يوم من الأيام فسامحني، سامحني. لقد

كنت وقحا حقا، صلفا، آمر ولا أطلب، وكثيرا ما كنت أدينك، فسامحني. وإذا كان هذا ما تريده، إذا كانت هذه هي مشيئتك، فعاقبني لكن دع ابني. دعه أرجوك. لست أطلب منك رحمة ولا شفقة بل عدلا.

أنت عجوز وأنا أيضا عجوز. وأنت الأقرب إلى أن تفهمني.

أناس أشرار، أولئك الذين يهينونك بأفعالهم ويدنسون أرضك، أرادوا قتل ابني.

أناس أشرار، أنذال، قساة، رموا ابني بحجر غدرا، غدرا فعلها الأنذال! فلا تدع هذا العمل الشرير يبلغ غايته : أوقف الدم، أعد الحياة، أعد الحياة لابني النبيل. لقد انتزعت مني كل شيء، فهل طلبت منك في يوم من الأيام شيئا كما يفعل المتسولون : أن تعيد لي ثروتي! أن تعيد الأصدقاء! أن تعيد الموهبة. لا، أبدا. حتى الموهبة لم أطلبها منك. وأنت تدرك ما معنى الموهبة. إنها أكبر من الحياة. قلت في نفسي لعل هذا ما يجب أن يكون، وكنت أصبر، أصبر بكبرياء. والآن أسألك، أسألك وأنا جاث على قدمي ومعفر وجهي بالتراب ومقبل التراب، ترابك : أعد الحياة لابني. إني أقبل تراب أرضك!

(ينهضان. يصغي الشخص المسمى هو إلى الصلاة دون مبالاة)

الزوجة : أخشى ألا تكون صلاتك على قدر كاف من التواضع ياصديقي، بل كأني شعرت فيها بنبرة كبرياء.

الإنسان : لا، لا يا امرأة. لقد تحدثت إليه بشكل جيد، كما يليق بالرجال أن يتكلموا فيما بينهم. هل من المفروض أن يحب المتزلقين المستسلمين أكثر مما يحب الشجعان والأباة الذين يقولون الحقيقة؟ لا، يا امرأة. أنت لا تفهمين هذا. أنا آمنت الآن، حلت السكينة في نفسي بل اني لأشعر بالفرح. أشعر أني أنا أيضا أعني شيئا لصغيري، وهذا مايفرحني. اذهبي وانظري إن كان نائما. لابد أنه ينام الآن نوما عميقا.

(تخرج الزوجة. يلتفت الإنسان بين الحين والآخر بود إلى الزاوية التي يقف فيها الشخص الرمادي، يتناول البهلول ويلاعبه ويقبل أنفه الأحمر الطويل بتؤدة، في هذه اللحظة تدخل زوجته. يقول الإنسان بارتباك...)

الإنسان : كنت اعتذر إليه، لقد أغضبت هذا الأحمق. كيف حال صغيرنا العزيز؟

الزوجة : إنه شديد الشحوب.

الإنسان : هذا أمر بسيط، عابر. لقد فقد الكثير الكثير من دمه.

الزوجة : أشفق عليه حين أنظر إلى رأسه الشاحب المقصوص الشعر. كانت له خصلات ذهبية رائعة.

الإنسان : كان من الضروري قصها لغسل الجرح. لا عليك يا امرأة، لاعليك. سينبت شعره وسيكون أجمل، ألم تجمعي شعره المقصوص؟ يجب أن نجمعه ونحفظه فعليه دمه الغالي! .

الزوجة : بلى، لقد خبأته في هذا السفط، وهو آخر ما بقي لدينا من ثروتنا .

الإنسان : لا تتكدري بشأن الثروة، ما علينا إلا أن ننتظر حتى يبدأ ابننا العمل، وهو سيعيد إلينا ما فقدناه، لقد عاد إلي فرحي يا امرأة. وأنا مؤمن أشد الإيمان بمستقبلنا . ألا تذكرين غرفتنا الوردية البائسة؟ جيراننا الطيبون ألقوا فيها أوراق البلوط وانت صنعت منها إكليلا لرأسي وقلت إني عبقري.

الزوجة : والآن أيضا أنا مستعدة لأقول ما قلته، الناس لم يعودوا يقدرونك، لكن ليس أنا .

الإنسان : لا، يا زوجتي الصغيرة، أنت لست على حق، أعمال العبقري تبقى بعد هذا الشيء المهلهل الضيق الذي يسمى جسده، وأنا مازلت حيا، أما أعمالي..

الزوجة : لا، إنها لم تمت ولن تموت. تذكر ذلك البيت عند الناصية الذي بنيته منذ عشر سنوات، انك تقصده كل مساء حين غروب الشمس لتتأمله، ترى هل يوجد في المدينة كلها بناء أجمل منه وأكمل؟

الإنسان : بنيته آخذا في الحسبان أن أشعة الشمس الغاربة يجب أن تسقط عليه، وتشع في نوافذه، حيث يظل يودع الشمس، بينما تكون المدينة كلها غرقت في الظلام، لقد نجحت فيه، فهل ترين أنه سيعيش بعدي ولو قليلا؟

الزوجة : طبعا يا صديقي.

الإنسان : شيء واحد يكدرني يا زوجتي : لماذا نسيني الناس بهذه السرعة؟ كان يمكنهم أن يذكروني فترة أطول قليلا، أطول قليلا.

الزوجة : الناس تنسى ما كانت تعرفه وتكف عن حب ما كانت تحبه.

الإنسان : كان يمكنهم أن يذكروني فترة أطول قليلا، أطول قليلا.

الزوجة : لقد رأيت قرب ذلك البيت فنانا شابا، كان يدرسه بتمعن وينسخ رسمه في ألبومه.

الإنسان : وكيف لم تقولي لي هذا يا صديقتي؟ هذا مهم جدا، مهم جدا، هذا يعني أن فكري ينتقل إلى أناس آخرين وأنه سيعيش حتى ولو نسوني، هذا مهم جدا، يا زوجتي، إنه لفي غاية الأهمية.

الزوجة : لا، لم ينسوك، يا عزيزي، تذكر ذلك الشاب، الذي انحنى لك باحترام كبير في الشارع.

الإنسان : هذا صحيح يا زوجتي، انه شاب جيد، جيد جدا، له وجه فتى مجيد. حسنا فعلت .. عندما ذكرتني بهذه الانحناءة فقد أشرقت نفسي، لكن شيئا ما يشدني إلى النوم، لابد أني تعب، ثم اني عجوز، ألا تلاحظين ذلك يا زوجتي الصغيرة الشائبة؟

الزوجة : مازلت جميلا كما كنت.

الإنسان : وعيناي تلمعان؟

الزوجة : وعيناك تلمعان.

الإنسان : وشعري أسود كالقطران؟

الزوجة : بل أبيض كالثلج وهذا أجمل!

الإنسان : ولا أثر للتجاعيد؟

الزوجة : هناك بعض التجاعيد الصغيرة، لكن...

الإنسان : طبعاً، أشعر أني وسيم، غداً اشتري بزة عسكرية وانتسب إلى الخيالة. حسن؟

(تبتسم الزوجة)

الزوجة : ها قد عدت تمزح كما في السابق. هيا تمدد هنا يا عزيزي واغف قليلاً، سأذهب إلى صغيرنا. كن مطمئناً، لن أتركه وحين يصحو أناديك، ألا يطيب لك تقبيل يد هرمة مجعدة؟

الإنسان : (مقبلاً يدها) لا عليك! أنت أجمل امرأة عرفتها!

الزوجة : والتجاعيد؟

الإنسان : عن أي تجاعيد تتكلمين؟ لا أرى إلا وجهاً لطيفاً، طيباً جميلاً، ذكياً .. لا تغضبي من لهجتي القاسية وامضي إلى الصغير، احرسيه واجلسي قربه كطيف رقيق من الحنان واللطف. وإذا ما اضطرب نومه غني له أغنية كما في الماضي، ثم لا تنسي أن تقربي العنب لكي تطوله يده.

(تخرج الزوجة. يستلقي الإنسان على «الديوان» ورأسه إلى الناحية التي يقف فيها الشخص بالزي

الرمادي جامدا، حيث يكاد الشخص يمس بيده شعر الإنسان الأشيب المشعب. لا يلبث الإنسان أن يغفو)

الشخص بالزي الرمادي : راح الإنسان في إغفاءة عميقة وبهيجة معللا نفسه بآمال باطلة، تنفسه هادئ كتنفس طفل، وقلبه الهرم ينبض، وهو مخلد إلى الراحة، نبضات هادئة ومنتظمة. إنه لا يعرف أن ابنه سيموت بعد لحظات، وفي أحلام نومه الخفية ستنتصب أمامه السعادة المستحيلة.

يبدو له أنه يسبح مع ابنه في زورق أبيض في نهر جميل هادئ. يبدو له أن النهار رائع، فيرى سماء زرقاء وماء رقراقا شفافا كالبلور، ويسمع وشوشة الحصى وهو ينشق أمام الزورق، يبدو له أنه سعيد، ويشعر بالسعادة لكن الحواس تخدع الإنسان، لكن ها هو ذا يضطرب في نومه فجأة، إنها الحقيقة المرعبة، ومن خلال حجب النوم الكثيفة تلدغه فكرة.

– لماذا قص شعرك الذهبي هذه القصة القصيرة يا بني؟ لماذا؟

– آلمتني رأسي، يا بابا، ولهذا قص شعري هذه القصة القصيرة.

ويشعر بالسعادة، وقد خدع من جديد، فيرى السماء الزرقاء، ويسمع وشوشة الحصى وهو ينشق أمام الزورق.

انه لا يعرف أن ابنه في النزع الأخير، انه لا يسمع ابنه المتشبث بآخر أمل مجنون له، والمؤمن إيمان الأطفال بقوة الكبار يناديه من دون كلمات، يناديه بنداء القلب :

«بابا، بابا، إني أموت، لا تدعني أموت!». الإنسان ينام نوماً عميقاً وبهيجا، وفي أحلامه الخادعة والخفية تنتصب أمامه السعادة المستحيلة.

اصح أيها الإنسان! لقد مات ابنك.

الإنسان : (يرفع رأسه مذعورا وينهض) أشعر بالخوف. كأن أحدا ناداني.

في اللحظة نفسها يتزدد. وراء الجدران نحيب أصوات نسائية كثيرة، النساء يبكين بأصوات مرتفعة ممدودة على الميت. تدخل زوجة الإنسان شاحبة بشكل مخيف.

الإنسان : مات طفلنا؟

الزوجة : نعم.. مات.

الإنسان : هل ناداني؟

الزوجة : لا. لم يصح أبدا. ولم يناد أحدا. لقد مات ابني، ابني الحبيب!

(تسقط عند قدمي الإنسان وتنتحب مطوقة قدميه بيديها. يضع الانسان يده على رأسها ويقول بصوت مختلج، لكنه متوعد، وقد توجه إلى الزاوية التي يقف فيها الشخص لا مباليا)

الإنسان : لقد أسأت إلى امرأة أيها الوغد، قتلت الطفل!

(تنتحب الزوجة. يمسح الإنسان على شعرها بهدوء، وبيد مرتجفة). لا تبكي يا غاليتي، لا تبكي.

سيسخر من دمعنا كما سخر من صلاتنا. أما أنت، ولا أدري من تكون : إلها، شيطانا، قدرا أو حياة .....

(يتكلم بعد ذلك بصوت عال قوي متخذا وضعية من يدافع عن زوجته بيده، بينما يمد يده الأخرى باتجاه الشخص المجهول متوعداً)

لعنة الإنسان

ألعن كل ما أعطيتني إياه أيها الإنسان المجهول. ألعن حياتي كلها، أفراحها وأحزانها. ألعن نفسي! ألعن عيني وسمعي ولساني. ألعن قلبي، ألعن رأسي، وأرد كل شيء إليك أيها القدر. ما الذي بوسعك أن تفعله بي أكثر مما فعلت؟ ارمني على الأرض، ارمني. سأضحك وأصرخ : فآخر فكرة ستراودني هي أن أصرخ في أذنيك. خذ جثتي، مزقها كما يفعل الكلب واله بها في الظلام، لن أكون فيها. لقد تلاشيت، اختفيت. وإني من خلال رأس المرأة التي أسأت إليها، والطفل الذي قتلته أصب عليك لعنة الإنسان!

(يصمت وهو رافع يده متوعدا. يصغي الشخص الرمادي إليه في لامبالاة، ويرتعش لهب الشمعة كأن ريحا هبت عليه. وهكذا يقفان - الإنسان والشخص - بعض الوقت في صمت مركز الواحد مقابل الآخر. النحيب وراء الجدار يعلو ويمتد متحولاً إلى لحن للألم)

(يسدل الستار)

اللوحة الخامسة

موت «الإنسان»

ضوء باهت راعش غير واضح يمنع العين من تبين ما حولها من النظرة الأولى. حين تألف العين هذا الضوء ترى اللوحة التالية : قاعة واسعة طويلة ذات سقف منخفض، جدرانها خالية من النوافذ، المدخل من مكان ما في الأعلى عبر درجات، الجدران ملس، قذرة، قاتمة أشبه بجلد خشن ملطخ لحيوان كبير، الجدار الخلفي كله حتى الدرجات عبارة عن بوفيه منبسط ضخم من الزجاج صف عليه صفا مستقيما زجاجات مملوءة بمشروبات روحية متنوعة الألوان. خلف المبسط غير المرتفع يجلس صاحب الخمارة متجمدا تماما وواضعا يديه على كرسيه. وجهه الأبيض المشرب بالحمرة وصلعته ولحيته الصهباء الكبيرة دليل هدوء ولا مبالاة كاملين، على هذا الوضع يظل طوال الوقت لا يتحرك. ووراء طاولات صغيرة يجلس السكارى على مقاعد خشبية دون مساند. يزداد عدد الموجودين، أو هكذا يبدو، بسبب ظلالهم التي تتراقص على الجدران والسقف، تنوع لا حد له من الأشياء المقرفة والفظيعة. الوجوه تشبه أقنعة ذات أجزاء مكبرة أو مصغرة بشكل غير متناسق. انهم ذوو أنوف كبيرة أو بلا أنوف، وعيون محملقة جاحظة بشكل وحشي تكاد تخرج من محاجرها، وعيون ضيقة إلى درجة شقوق ونقاط لا تكاد ترى، وتفاحات آدم وذقون ضئيلة جدا، الجميع شعرهم أشعث، متسخ، يغطي نصف الوجه أحيانا. إلا أن على كل الوجوه،

على الرغم من تنوعها، مسحة من التشابه المخيف : إنه لون أخضر يذكر بلون القبر، وتعبير عن الرعب المرح حينا، والمظلم المجنون حينا آخر.

السكارى يرتدون ثيابا رثة ذات لون واحد تكشف عن يد معروفة خضراء أو ركبة مدببة أو صدر غائر مخيف. بعضهم يكاد يكون عاريا. النساء لا يختلفن عن الرجال إلا قليلا، بل إنهن أقبح منهم. والجميع – رجالا ونساء – أيديهم ورؤوسهم تهتز ومشيتهم غير متوازنة كأنهم يسيرون على سطح زلق أو منحدر أو متحرك، وأصواتهم متشابهة مبحوحة وجشرة، وكلماتهم يخرجونها – كما يمشون – في غير ثقة، ومن شفاه غير مطواعة كأنها متجمدة.

في وسط هذا الجمع يجلس الإنسان على طاولة منفردة واضعا رأسه الأشيب المشعث الشعر على يديه. وهكذا يبقى طوال الوقت، إلا حين يتكلم، لباسه زري جدا.

في الزاوية يقف الشخص الرمادي جامدا وفي يده الشمعة لم يبق منها إلا زبالة، لهبها الأزرق النحيل يهتز، يميل لسانها أحيانا أو ينطلق حادا إلى الأعلى، والبقع الزرقاء زرقة الموت على وجهه الحجري وذقنه.

حديث السكارى :

– يا إلهي! يا إلهي!

– اسمعوا. كيف يهتز كل شيء بشكل غريب!
يستحيل أن تثبت نظرك على شيء.

– كل شيء يرتعش كالمصاب بالحمى.. الناس والكراسي والسقف.

– كل شيء يسبح ويهتز كأنه فوق أمواج.

– ألا تسمعون ضجة؟ أسمع ضجة كما لو أن عربات حديدية تقعقع، أو أن أحجاراً تسقط من جبل، أحجار كبيرة تسقط كالمطر.

– أسمع طنينا في أذني.

– إنه صوت الدم يغلي، أشعر بدمي. دمي الأسود اللزج الذي تفوح منه رائحة «الروم»* يجري بتثاقل في عروقي. وعندما يقترب من قلبي يهوى كل شيء في داخلي وأشعر بالرعب.

– كأني أرى لمعان البروق!

– أرى شعلا حمراء ضخمة يحرق الناس فيها، رائحة اللحم المحروق مقرفة، وحول شعل النار تهوم أطياف سود. إنها لسكرى هذه الأطياف. هي، ادعوني كي أرقص معكم.

---

*مشروب روحي قوي.

– يا إلهي! يا إلهي!

– أما أنا فالفرح يملأ قلبي! من يريد أن يضحك معي؟ لا أحد؟ سأضحك وحدي إذن. **(يضحك وحده)**

– امرأة فاتنة تقبلني في شفتي. رائحة المسك تفوح منها، وأسنانها كأسنان التمساح تريد أن تعضني. تنحي عني يا عاهرة!

– أنا لست عاهرة. بل أفعى عجوز حبلى، منذ ساعة، وأنا أرى كيف تخرج من أحشائي أفاع صغيرة وتزحف، هي! لا تدس على أفاعي الصغيرة!

– إلى أين أنت؟

ـ من يدب هناك؟ اجلس، البيت كله يرتج حين تمشون.

– لا استطيع، يتملكني الرعب حين أجلس.

– وأنا أيضا، حين أجلس أسمع كيف يمشي الرعب في جسدي.

– وأنا أيضا. دعوني!

(ثلاثة أو أربعة سكارى يتسكعون دونما هدف، وبخطوات مترنحة متعثرة تائهين بين الطاولات)

– انظروا ماذا يفعل هذا الشيء. منذ ساعتين وهو يحاول القفز إلى ركبتي، لكنه يعجز عن بلوغهما، وأرده فيحاول من جديد.

ـ صراصير سود تزحف تحت جمجمتي وتخشخش.

– دماغي يتفسخ، أشعر كيف تنفصل جزئية رمادية منه عن الأخرى. دماغي يشبه قطعة جبن رديئة تفوح منها رائحة كريهة.

– تفوح منه رائحة جيفة.

– يا إلهي! يا إلهي!

– اليوم سأزحف إليها على ركبتي وأذبحها، سيسيل الدم، إنه يتدفق الآن.. دم أحمر قان.

– طوال الوقت يلاحقني ثلاثة. يدعونني إلى زاوية مظلمة خاوية ليذبحوني هناك، إنهم الآن عند الباب.

– من الذي يزحف على الجدران والسقف؟

– يا إلهي! لقد أتوا، إنهم يريدونني.

– من؟

– هم!

- لساني انعقد. ما العمل؟ لساني انعقد. سأبكي (يبكي).

- كل شيء يندلق مني إلى الخارج، سأنقلب الآن على ظهري وأصير حمراء.

- اسمعوا، اسمعوا! هي، أي واحد منكم فليسمعني، هناك وحش يزحف علي، إنه يرفع يده، النجدة!

- ما هذا؟! النجدة! عنكبوت!

- النجدة!

(يصرخون لبعض الوقت بأصوات مبحوحة «النجدة!»)

- جميعنا سكارى، فلندعو كل من في الأعلى إلينا، في الأعلى كل شيء مقرف.

- لا داعي لذلك، حين أخرج من هنا إلى الشارع، أراها تندفع خلفي كوحش ضار، وسرعان ما ترميني أرضا. لقد أتينا جميعنا إلى هنا .. نحن نشرب الكحول، وهو يمنحنا الفرح والبهجة.

- انه يمنحنا الرعب. طوال يومي ارتجف رعباً.

– الرعب خير من الحياة. من يريد العودة إلى هناك؟

– أنا لا أريد.

– وأنا لا أريد. الأفضل أن أفطس هنا، لا أريد أن أعيش!

– لا أحد يريد!

– يا إلهي! يا إلهي!

– ترى لماذا يتردد «الإنسان» على هذا المكان؟ إنه يشرب قليلا ويجلس طويلا، لا لزوم له هنا.

– فليذهب إلى بيته، فإن له بيتا.

– خمس عشرة غرفة.

– دعوه وشأنه، فلم يعد له بيت يأوى إليه.

– عنده خمس عشرة غرفة.

– كلها خاوية، إلا من الجرذان تركض فيها وتتعارك.

– وزوجته؟

– ليس له أحد. لابد أنها ماتت.

– زوجته ماتت.

– زوجته ماتت.

(أثناء هذا الحديث والذي يليه تدخل العجائز بهدوء، وهن يرتدين أغطية غريبة ليحللن بشكل غير ملحوظ محل السكارى الذين يخرجون هم أيضا بهدوء، ويتدخلن في الحديث بحيث لا يلاحظ ذلك أحد)

حديث السكارى والعجائز :

– هو نفسه سيموت قريبا. إنه لا يكاد يقوى على المشي من ضعفه.

– عنده خمس عشرة غرفة.

– استمعوا إلى قلبه كيف يدق دقات غير منتظمة وخافتة. إنه سيتوقف قريباً.

– هي! أيها الإنسان! ادعنا إليك : عندك خمس عشرة غرفة!

– سيتوقف قريبا قلب «الإنسان» قلبه المريض الواهن الهرم!

– الأحمق السكران نائم. النوم مخيف، وهو ينام. يمكن أن يموت في نومه. هي، أيقظوه!

– أوتذكرون كيف كان قلبه ينبض شابا قويا ؟!

– سأخرج إلى الشارع وأثير فضيحة. لقد شلحوني! أنا عار تماما، جلدي أخضر.

– مرحبا!

– عادت العربات تحدث ضجة، يا إلهي، إنها ستسحقني. النجدة! لاأحد يجيب أو يستجيب.

– مرحبا.

– أو تذكرون كيف ولد؟ يبدو أنكن كنتن هناك.

– لابد أني على وشك أن أموت، يا إلهي، يا إلهي! من ذا الذي سيحملني إلى القبر؟ من سيطمرني تحت التراب؟ هل سأظل ملقى في الشارع كالكلب، الناس تمر فوقي والعربات أيضا؟ إنها ستسحقني، يا إلهي، يا إلهي! (يبكي). اسمح لي أن أهنئك يا قريبي بالمولود الجديد.

– أنا واثق تماما أن هناك خطأ ما، أن تخرج من خط

مستقيم دائرة مفرغة فهذا هو المستحيل بعينه،

وسأثبت لكم هذا فورا!

- أنت على حق.

- يا إلهي! يا إلهي!

- الجاهلون في الرياضيات وحدهم يمكنهم التسليم بهذا، أما أنا فلاأقبل به. أتسمع، لا أقبل به!

- وهل تذكرون الفستان الوردي والجيد العاري؟!

- والزهور، والقرنفل الذي لم يجف الندى عليه بعد، والبنفسج والنباتات الخضراء.

- لا تمسسن الزهور يا فتيات، لا تمسسنها

(يضحكن بصوت خافت)

- يا إلهي! يا إلهي!

(في هذا الوقت يكون السكارى قد خرجوا جميعا، والعجائز بأغطيتهن الغريبة قد شغلن أماكنهم. الضوء يصبح مستقرا وضعيفا جدا. تبرز قامة المجهول ورأس «الإنسان» الأشيب الذي يسقط عليه ضوء ضعيف من الأعلى)

حديث العجائز :

– مرحبا!

– مرحبا. يا له من ليل رائع!

– ها قد اجتمعنا من جديد. كيف صحتك؟

– أسعل قليلا.

(يتضاحكن بصوت خافت)

– لم يبق إلا القليل. سيموت قريبا.

– انظرن إلى الشمعة. اللهب أزرق ناحل ينتشر على الجانبين. الشمع نفذ، والفتيل يرسل آخر نوره.

– لا يريد أن ينطفىء.

– ومتى رأيت لهبا يريد أن ينطفىء.

– لا تتناقشن! لا تتناقشن! الوقت يمضي سواء أراد اللهب أن ينطفىء أم لم يرد.

– وهل تذكرين سيارته؟ كادت تدهسني ذات مرة.

– وغرفه الخمس عشرة؟!

– إني عائدة لتوي من هناك. كادت الجرذان تأكلني، كما أصبت بالرشح من التيارات الهوائية، أحدهم سرق النوافذ، ولهذا ترى الريح تعصف في كل أرجاء البيت.

– وهل تمددت على السرير الذي ماتت فيه زوجته؟ إنه وثير تماما.. أليس كذلك؟!

– نعم، لقد طفت بكل الغرف وحلمت قليلا. عندهم غرفة أطفال لطيفة جدا. لكن مع الأسف، خلعت النوافذ هناك أيضا، والريح تذرو القمامة في أركانها. وسرير الأطفال لطيف جدا، وفيه أيضا بنت الجرذان بيوتا وأخذت تنجب صغارها.

– جرذانا صغيرة لطيفة لا يسترها شيء.

(يضحكن بصوت خافت)

– وعلى طاولة مكتبه لعب : الحصان الصغير المبتور الذنب، والخوذة والبهلول ذو الأنف الأحمر، لعبت بها قليلا، ووضعت الخوذة على رأسي، انها تناسبني تماما، لكن الغبار يملؤها جميعا، اتسخت كلها.

– أيعقل أنك لم تدخلي القاعة التي أقيمت فيها الحفلة؟ انها تعمر بالفرح.

- نعم، دخلتها، لكن تصوري ماذا رأيت؟! الظلمة مطبقة والزجاج مخلوع، والريح تلعب بأوراق الجدران.

- هذا يشبه الموسيقى.

- وعند الجدران يجلس الضيوف القرفصاء في العتمة، ولكن لو تدرين بأي منظر!

- نعرف!

- يطقطقون بأسنانهم وينبحون بصوت متقطع : يا للغني! ياللبهاء!

- أنت تمزحين طبعا؟

- طبعا أمزح. انكن تعرفن طبعي المرح.

- يا للغنى! يا للبهاء!

- يا للضوء المشرق!

(يضحكن بصوت خافت)

- ذكرنه.

- يا للغنى! يا للبهاء!

- أتذكر كيف كانت الموسيقى تعزف في حفلتك؟

- سيموت الآن.

- الراقصون يدورون والموسيقى تعزف. يا لرقة تلك الموسيقى وجمالها. كانت تعزف هكذا.

(يشكلن نصف دائرة حول «الإنسان» ويدندن بصوت خافت اللحن الذي كان يعزف في الحفلة)

- فلنقم حفلة! منذ زمن بعيد لم أرقص.

- تصوري أن هذا القصر، قصر خارق الجمال.

- ادعي الموسيقيين، لا يمكن إقامة حفلة جيدة دون موسيقى.

- الموسيقيون!

- هل تذكرين؟

(يدندن. في هذه اللحظة يهبط الدرجات الموسيقيون الثلاثة الذين عزفوا في الحفلة. الذي يحمل الكمان يبسط بعناية، على كتفه منديلا، ويأخذ الثلاثة في العزف باجتهاد بالغ. لكن الأنغام خافتة ولطيفة كما في حلم)

- ها هي ذي الحفلة، يا للبهاء!

- يا للاشراف!

- هل تذكر؟

(يأخذن في الدوران حول «الإنسان» مدندنات على أنغام الموسيقى، ومقلدات ومكررات في شناعة وحشية حركات الفتيات ذوات الملابس البيض اللواتي رقصن في الحفلة، مع أول جملة موسيقية يدرن، ومع الثانية يتقاربن ويتباعدن برشاقة وهدوء. ويهمسن بصوت خافت) :

- هل تذكر؟

- عما قريب تموت، لكن هل تذكر؟

- هل تذكر؟

- هل تذكر؟

- عما قريب تموت، لكن هل تذكر؟

- هل تذكر؟

(يصبح الرقص أسرع والحركات أعنف. تتسلل إلى أصوات العجائز المغنيات نغمات غريبة

وزاعقة، كما ينتقل بين الراقصات الضحك الغريب المكبوت حتى الآن على شكل حفيف خافت. الراقصات يطلقن في أذن «الإنسان» وهن يمرقن حوله همسات متقطعة):

– هل تذكر؟

– هل تذكر؟

– ما ألطف الحفلة! وما أحلاها!

– كم ترتاح النفس فيها!

– هل تذكر؟

– الآن ستموت، الآن ستموت، الآن ستموت..

– هل تذكر؟

(يزداد دورانهن سرعة وحركاتهن حدة. وفجأة يصمت كل شيء ويتوقف. يتجمد الموسيقيون وآلاتهم في أيديهم، وتتجمد الراقصات، ينهض الإنسان، ينتصب، يشمخ برأسه الأشيب الجميل والرائع في توعده، ويصرخ فجأة بصوت عال مناشد مليء بالكآبة والغضب، بعد كل جملة قصيرة توقف قصير لكنه عميق)

– أين حامل سلاحي؟ أين سيفي؟ أين درعي؟ صرت أعزل! إلي بسرعة! بسرعة! اللعنة.. **(يسقط على الكرسي ويموت ملقيا رأسه إلى الوراء)**

(في اللحظة نفسها تنطفيء الشمعة بعد توهج ساطع قصير، وتأخذ ظلمة شديدة تلتهم الأشياء. يبدو أن الظلمة تزحف من الدرجات وتلف تدريجيا كل شيء. لا يبقى مضيئا إلا وجه الإنسان الميت. حديث خافت غير مفهوم بين العجائز. وشوشات وضحكات خافتة متبادلة)

الشخص الرمادي : صمتا! مات «الإنسان»!

(صمت ، سكون . الصوت البارد اللامبالي نفسه يردد كالصدى آتيا من الأعماق)

– صمتا! مات «الإنسان»!

(صمت، سكون. الظلمة تزداد كثافة ببطء، لكن مازالت ترى أجسام العجائز المذعورات. الشبيهة بالجرذان، ثم ما يلبثن أن يبدأن بالدوران حول الميت بصمت وهدوء، ثم يأخذن في الدندنة بصوت خافت، ويأخذ الموسيقيون في العزف. الظلمة تزداد كثافة، والموسيقى

والغناء يعلوان شيئا فشيئا، والرقص يزداد انطلاقا. لا تعود العجائز إلى الرقص، بل إنهن يمرقن حول الميت بشكل محموم ضاريات بأقدامهن، زاعقات، مطلقات ضحكات وحشية متواصلة. الظلمة الكاملة تطبق، لكن وجه الإنسان مازال يضاء بقوة أكبر، ولكنه ما يلبث أن ينطفيء هو الآخر. ظلمة حالكة السواد.

مازالت تسمع في الظلمة حركات الراقصات المحمومة اليائسة، وزعيقهن وضحكاتهن، وأصوات الأوركسترا المتنافرة العالية. وبعد أن تبلغ هذه الأصوات والضوضاء ذروة توترها تغيب بسرعة في مكان ماوتتوقف تماما).

(صمت)

يسدل الستار

المترجم في سطور

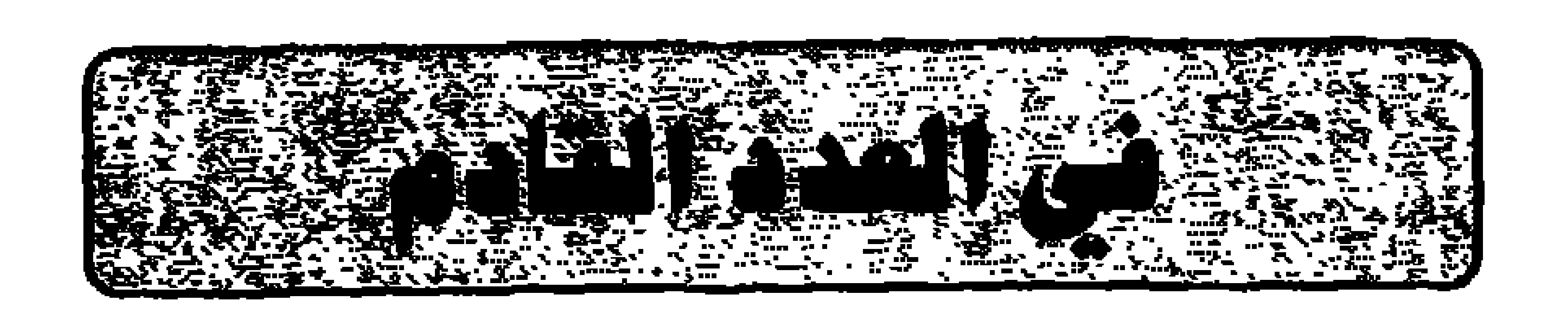
يوسف حلاق

- من مواليد الجمهورية العربية السورية.
- عمل في تدريس اللغة والأدب الروسيين.
- ترجم عدداً كبيراً من الكتب الروسية إلى العربية.
- له عدة مؤلفات وأبحاث في الأدب الروسي.

المراجع في سطور

د. شريف شاكر

- من مواليد الجمهورية العربية السورية.
- عمل مخرجا في فرقة المسرح القومي في دمشق.
- عمل مدرسا في المعهد العالي للفنون المسرحية في الكويت.
- له عدة دراسات وترجمات في الفن المسرحي من أهمها إعداد الممثل وإعداد الدور المسرحي، كما ترجم أعمال ميرخولد.



دون كيشوت

تأليف : ميخائيل بولجاكوف

ترجمة وتقديم : د. هاشم حمادي

كشاف سنوي

للاستفسار :
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ص.ب ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة – 13100 – دولة الكويت
تليفون ٢٤٣١٣٥٣ – فاكس ٢٤٣٢٢٣١

سلسلة إبداعات عالمية

سلسلة شهرية محكمة.. تعنى بنشر الترجمات الإبداعية الراقية من اللغات المختلفة لأهم ما يصدر من أشكال الأدب العالمي عموماً: الرواية - المجموعات والمختارات القصصية - أدب السيرة الإبداعية وأدب الرحلات الحديث العالمي - إضافة للنصوص المسرحية الرفيعة ومجموعات الشعر ومختاراته.

قواعد النشر بالسلسلة

١- أن يكون النص ذا قيمة فنية عالية، والمؤلف من كبار الكتاب، أو المتميزين على الساحة الأدبية العالمية.

٢- ألا تكون قد نشرت من قبل ترجمة للنص بالعربية.

٣- أن تكون الترجمة عن اللغة الأصلية للنص، وليس عن لغة وسيطة.

٤- تقبل النصوص المترجمة المقدمة للنشر من نسختين على الآلة الطابعة، مع نسخة من النص الأصلي. ولا ترد الأصول إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.

٥- تخضع النصوص المترجمة للتحكيم العلمي على نحو سري.

٦- تحال النصوص عند الموافقة المبدئية عليها إلى المراجعة قبل النشر. وتجرى الإشارة إلى اسم المراجع مع المترجم.

٧- يمكن للسلسلة أن تنشر مقدمة للمترجم أو للمراجع مع نص المسرحية وفق صلاحيتها الفنية.

* تقدم السلسلة مكافأة مالية عن النصوص التي تقبل للنشر، وذلك وفقاً لقواعد المكافآت الخاصة بها.

ترسل النصوص باسم:

الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب. ٢٣٩٩٦ الصفاة 13100 الكويت

قسيمة اشتراك

البيان	سلسلة المسرح العالمي		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة عالم المعرفة	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٠	-	١٢	-	١٢	-	٢٥	-
الأفراد داخل الكويت	١٠	-	٦	-	٦	-	١٥	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٢٤	-	١٦	-	١٦	-	٣٠	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٢	-	٨	-	٨	-	١٧	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم :	
العنوان :	
اسم المطبوعة :	مدة الاشتراك :
المبلغ المرسل :	نقداً / شيك رقم :
التوقيـــع :	التاريخ : / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي :

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي 13100

دولة الكويت

طبع في مطابع دار السياسة

حياة إنسان

يعترف أندرييف أن فكرة كتابة مسرحية عن حياة إنسان راودته أول مرة وهو أمام إحدى لوحات الرسام الألماني البرشت دورير (١٤٧١ - ١٥٢٨) في أحد متاحف برلين. واللوحة تمثل مراحل حياة الإنسان. إلا أن كل مرحلة مفصولة عن المرحلة التالية بإطار، ومن هنا جاءت مسرحية «حياة إنسان» على شكل لوحات وليست على شكل فصول ومشاهد كما هو المألوف.

والجدير بالذكر هنا أن اندرييف جعل ملاحظاته الإخراجية حول الديكور وتحرك شخوص المسرحية ومظهرهم الخارجي والمؤثرات الضوئية والصوتية جزءاً لا يتجزأ من النص المسرحي، وكان حريصا في حياته على أن يراعيها المخرجون.

ولقد مثلت المسرحية على مسارح روسيا، وترجمت إلى اللغات الأجنبية، ومثلت في بلدان كثيرة وأثارت - ومازالت تثير - كأي عمل كبير آخر، الكثير من الاهتمام والاختلاف في الآراء.

لكنها ستظل بعد هذا كله نشيداً رائعاً يغني الإنسان في بؤسه ومجده، في ضعفه وعظمته، في صراع من أجل الأجمل والأبقى، وفي خلوده، رغم موته الجسدي، بالعمل الذي خلفه لبني الإنسان.

سعر النسخة :

الكويت ودول الخليج	٥٠٠ فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان